مكتبة
مؤمن قريش

الفكر الأصيل

وديعة الله

شذرات من كلام الإمام الخامنئي دام ظله حول شخصية ونهج الإمام الخميني قدس سره

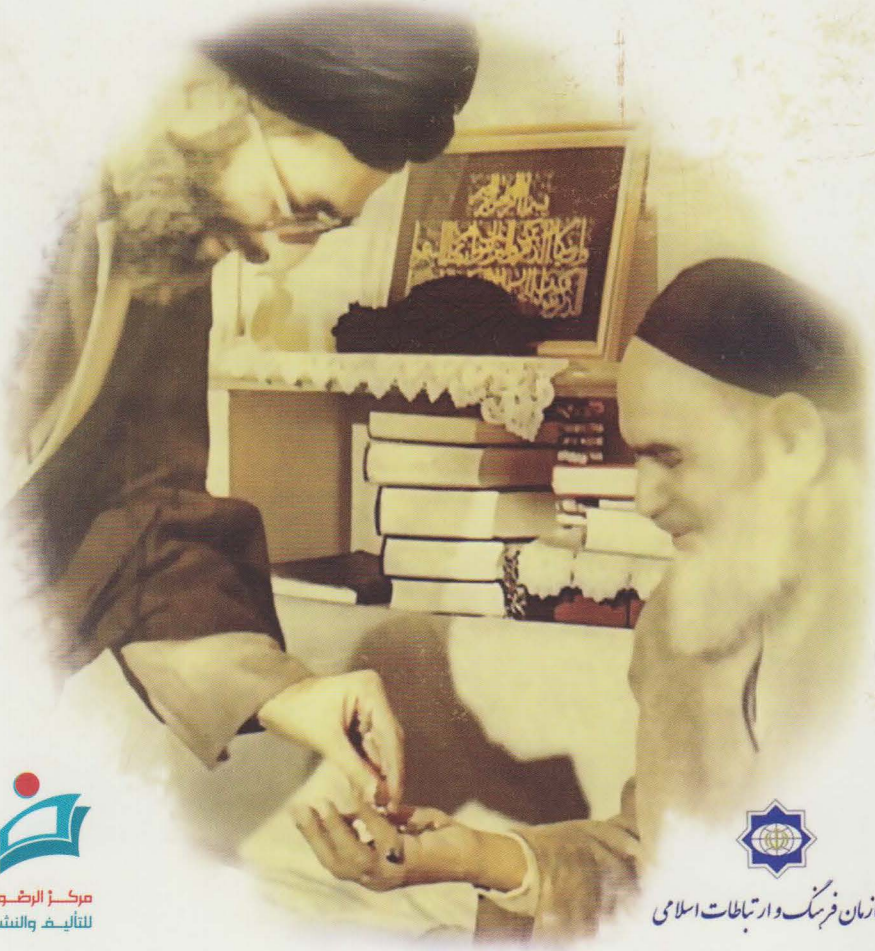

مركز الرضوان
للتأليف والنشر

سازمان فرهنگ وارتباطات اسلامی

الكتــاب: وديعَةُ الله
إ عــد ا د : مركز الرضوان للتأليف والنشر
النا شــر: منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية
مركز الرضوان للتأليف والنشر

تصميم والطباعة: DB UK

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى 2016

سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامی

مركز الرضوان للتأليف والنشر

مكتبة
مؤمن قريش

وديعَةُ اللّه

شذرات من كلام للإمام الخامنئي دام ظله
حول شخصية ونهج الإمام الخميني قدس سره

الفهرس

ذكريات مع الإمام الخميني قدس سره **15**

الإمام قدس سره العالم والمربي 17

الإمام الخمينيّ المرجع والقائد الثوري 18

سنوات المنفى 22

وفاة نجله مصطفى 25

خصوصيات ومواصفات شخصية الإمام الخميني قدس سره **29**

النموذج الأقرب للأنبياء والمعصومين عليهم السلام 32

الزهد العرفان 36

الإخلاص 38

الإيمان والعمل الصالح وتزكية النفس 43

الثقة بالله 45

التوكّل 51

التقوى 52

البصيرة 55

الصبر واليقين 56

التواضع 58

الرحمة والصلابة 59

روح الشباب 60
الهمّة العالية 62

عقائد الإمام الخميني قدس سره 67
إيمانه بالله 67
إيمانه بالناس 68
الثقة بالنفس 69

معالم ومبادئ خط الإمام الخميني قدس سره 75
محوريّة الإسلام المحمديّ الأصيل 76
الإيمان الراسخ والصادق بالشعب 88
امتزاج العرفان بالسياسة 100
الاستقامة 102
الوحدة الوطنيّة والإسلاميّة 108
عالميّة النهضة 111
مناهضة الاستكبار 115
العدالة الاجتماعيّة ونصرة المستضعفين 121
ولاية الفقيه 125
المعاصَرة والحيوية 127

انجازات الإمام الخميني قدس سره 133
بعثه للإسلام من جديد 133
إرجاع روح العزّة والكرامة للمسلمين 137

الشعور بالهويّة الإسلاميّة 138
القضاء على الحكومة الملكيّة 140
تأسيس حكومة على أساس الإسلام 141
تأسيس نهضة إسلاميّة في العالم 143
وضع رؤية جديدة في الفقه الشيعيّ 145
وضع أسس أخلاقيّة للحكّام 146
بث روح الثقة في النفس 150
إرساؤه لمعادلة لا شرقيّة ولا غربيّة 155
تأسيس التعبئة 156
تربية الكادر 157

واجباتنا اتجاه خط الإمام الخميني قدس سره 161
صيانة نهج وشخصيّة الإمام قدس سره من التحريف 162
اتخاذه قدوة في خياراتنا وأعمالنا 170
إحياء اسم وذِكر ونهج الإمام الخميني قدس سره 174
العمل بوصاياه 175

القائد دام ظله يرثي الإمام قدس سره 183

المصادر والمراجع 187

تمهيد

إن المتابع لخطب وكلمات سماحة الإمام القائد الخامنئي دام ظله، لا بد له من التوقّف مليًا عند حديثه عن الإمام الخميني قدس سره، وبخاصة قوله: «خارطة طريقنا هي أصول إمامنا العظيم. تلك الأصول الّتي تَمكّن الإمام، بالاستناد إليها، من تحويل الأمّة المُتخلّفة والذليلة إلى أمّة متطوّرة وشامخة. هذه الأصول، الّتي ستُعينُنا على متابعة المسير، وتشكّل لنا خارطة الطريق»[1]. ويقول أيضًا «يجب أن نعرف كيف كان يُفكر الإمام وكيف كان يتحرّك كي نرسم على ضوئه معالم المستقبل إن شاء الله»[2].

هذه الكلمات هي كلمات مُلفتة وتتطلّب التأمّل، إذ إنّ القائد دام ظله يُلفتُ انتباهنا إلى وجود كنزٍ بين أيدينا علينا أن ننفض الغبار عنه حتّى تسير الأمّة الإسلاميّة على الطريق الصحيح والمستقيم. فالإمام الخمينيّ قدس سره أعاد إحياء الإسلام الأصيل، وبعث في نفوس الشباب والأمّة روح العزّة والكرامة، وبثّ فينا روح الثقة في

---

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الرابعة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 24 رجب 1434 هـ.

(2) المناسبة: مراسم توديع أعضاء مجلس الوزراء، الزمان: 06 محرّم 1410 هـ.

النفس. وما علينا إلّا أن نُتابع هذه المسيرة عبر قراءة أصوله ومبادئه والغوص فيها. وهذه المبادئ والأصول يجب فهمها في مختلف جوانبها وحيثيّاتها. فيكون الإمام قدس سره هو المعيار في مسيرتنا، وهو القدوة والأسوة في هذا العصر.

من هنا، ولفهم حقيقة وشخصيّة ومبادئ إمامنا العظيم قدس سره، كان علينا أن نلجأ إلى من يستطيع فهمه ومعرفته والتعريف به بشكلٍ صحيح وصائب، إلى من تربّى وعاش ونَهِلَ من معارفه ومن مدرسته الكبيرة، فكان قائدنا وإمامنا الخامنئي دام ظله، الذي كان على اطلاع مباشرٍ وعلى تماسٍ مع الإمام قدس سره مدّة ثلاثين سنة.

منهجية العمل

لقد عمدنا في بداية هذا العمل إلى تجميع جميع خطابات الإمام القائد دام ظله في ذكرى رحيل الإمام الخمينيّ قدس سره، من يوم رحيله إلى ذكرى رحيله في العام 2015م، لأنّ القائد دام ظله في هذه المناسبات يركز في خطابه على مبادئ وأصول وفكر الإمام الخمينيّ قدس سره خلال مرحلة الثورة وما بعدها في إدارة الدولة الإسلاميّة. ثُمّ قمنا أيضًا بتجميع خطابات الإمام القائد دام ظله والّتي يتحدّث فيها عن الإمام العظيم قدس سره بمناسبات مختلفة. وكانت بعض هذه الخطابات من الصعوبة الوصول إليها، ولكن بجهود بعض الأخوة وصبرهم تمّ تأمينها والاستفادة منها.

وبعد الانتهاء من عمليّة التجميع، قُمنا بمزج هذه الخطابات بحسب المواضيع والأفكار المتشابهة. وطبعًا تمّ ذكر مرجع كل فكرة ومصدرها عبر ذكر مناسبة الخطاب الّذي وردت فيه هذه الفكرة وتاريخه. **وبالتالي فإنّ ما هو موجود في هذا الكتاب هو كلام الإمام الخامنئي** دام ظله **فقط بدون أيّ زيادة عليه أو تغيير في العبارة.**

وقبل أن يغوص القارئ في ثنايا هذا الكتاب لا بد له من الالتفات إلى بعض الخصوصيات الهامّة لهذا الكتاب وهي:

1. إنّ ما قُمنا به من جهد ليس كلّ رأي الإمام القائد دام ظله في الإمام الراحل قدس سره، وما ذكرناه في هذا الكتاب لا يُلخص شخصيّة الإمام قدس سره وخطّه، بل ما ذكرناه هو جزء بسيط من هذا التراث الإسلامي الأصيل وهو مشعل نور يُضيء الطريق لمن يُريد أن يسير على نهج هذا الإمام العظيم قدس سره الّذي كان نهجه كنهج الأنبياء والأولياء المرتبطين بمصدر الغيب. وبالتالي على الباحثين وطلّاب المعرفة أن يُواكبوا خطابات الإمام القائد دام ظله، ويبحثوا في كلمات وكتب الإمام الخمينيّ قدس سره، ويقرأوا بين السطور ليصلوا إلى مزيد من المبادئ والأصول لفهم شخصية إمامنا العظيم، والمدرسة العظيمة الّتي أسسها قدس سره.
2. بعض الأفكار يُمكن ذكرها تحت أكثر من عنوان في الكتاب، ولكن قُمنا باختيار العنوان الأفضل لذكر هذه الفكرة داخله.

3. وضعنا في عدّة أماكن بعض الكلمات داخل [ ]، هذه الكلمات هدفها وصل الأفكار بشكل أفضل. وهي ليست من كلام الإمام الخامنئي دام ظله.
4. قمنا بتوضيح بعض الأسماء والوقائع في الهامش، لإغناء الكتاب وتوضيح المطلب.

أخيرًا، ننصح القارئ العزيز أن يقرأ هذا الكتاب بتأنٍ وصفاء ذهنٍ حتّى يخرج بخلاصات يُمكن أن تُغيّر في شخصيّته وفي مجتمعه وفي أمّته. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لنكون من الباحثين بصدق وإخلاص عن شخصيّة ونهج الإمام الخمينيّ العظيم قدس سره، ومن السائرين على هذا النهج الذي أعاد إحياء الإسلام من جديد، والّذي بعث الأمل مجددًا في قلوب كل مستضعفي العالم، وأعاد إليهم ثقتهم بمستقبلهم، فباتوا يرون الوعد الإلهيّ لهم باستخلاف الأرض قريبًا ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[1].

مركز الرضوان

بيروت، أيار 2016

(1) سورة القصص، الآية 5.

من الّذي يجهل عظمة خمينيّنا العزيز؟ ومن الّذي لا يعرف قدره؟ إنّ ألفاظي لعاجزة عن تصوير تلك الحقيقة الساطعة والجوهرة الثمينة، وإنّ قلمي لأعجز من أن يرسم صورته الملكوتيّة.

ذكريات مع الإمام الخميني قدس سره [1]

أودُّ أن أنقل لكم، وللطليعة الشابّة منكم على وجه الخصوص، ما تيسّر لي إدراكه وما شاهدته ولمسته من هذا الرجل الفذ على امتداد الفترة الزمنيّة الّتي عشتها كتلميذ ومريد له.

لقد قيل الكثير عن الإمام؛ من قِبَل أصدقائه ومن قِبَل أعدائه، ومن الإيرانيين وغير الإيرانيين، ومن المسلمين وغير المسلمين، وأشادوا جميعهم بهذه الشخصيّة الفذّة، ولا كلام لنا في هذا؛ على اعتبار أنّ عظمته وعلوّ مكانته محرزة لدى الجميع، بَيْدَ أنّ هذه الحالة ذات طابع إجمالي عام.

وأعتقد أنّ شبابنا - الّذين يسيرون اليوم قُدُمًا بنشاط وهمّة على الدرب الّذي اختطّه أمامنا هذا الرجل الكبير - راغبون بمعرفة المزيد عن إمامهم، وها أنا أُلقي على أسماعكم ما استطعت أن أتلقّاه وأفهمه وألمسه من هذا الرجل، على مدى حوالي ثلاثين سنة الّتي أُتيحت لنا فيها معرفته عن كثب؛ حيث كنّا في برهة ندرك شيئًا ومظهرًا وبُعدًا من أبعاد هذه الشخصيّة العظيمة.

وأُشير إلى أنّ فترة السنوات الإحدى والثلاثين الّتي مرّت منذ

---

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

أيّام شبابي وإلى حين رحيل الإمام، مضت منها أربع عشرة سنة قضاها في المنفى، ويبدو على الظاهر أنّنا كنّا بعيدين عنه، إلّا أنّنا في الحقيقة لم نكن في معزلٍ عن جوّ توجّهاته الفكريّة ومنهجه؛ أي أنّنا كُنّا في الواقع خلال هذه السنوات الأربع عشرة مع الإمام.

صحيح أنّ تلاميذ الإمام ومعارفه كانوا يُحبّونه إلى أقصى حدّ، إلاّ أنّ ما قيل فيه لم يكن نابعًا من المحبّة، بل كان نابعًا ممّا يتّصف به الإمام من خصائص. والشيء الآخر هو أنّه لم يكن يتكلّف أو يتعجّل إظهار ما في شخصيّته من محاسن وجوانب مشرقة، وإنّما كان يتكشّف بُعد من تلك الأبعاد حيثما اضطره التكليف الشرعي إلى اتخاذ موقف ما، أو القيام بعملٍ ما.

في عام 1337هـ ش، [1959م]، وهي السنة الّتي ذهبتُ فيها إلى قم ورأيت الإمام الخمينيّ هنالك عن قرب للمرّة الأولى. وكنّا من قبل ذلك قد سمعنا ونحن في مشهد عن وجود أستاذ كبير في قم يحبّ الشباب، ومن الطبيعي أنّ طالب العلوم الدينيّة حينما يَرِد إلى قم يبدأ بالبحث عن أُستاذ يدرس على يده؛ ففي الحوزات العلميّة ليس ثمّة إلزام في اختيار الأستاذ، وإنّما يختار كل طالب الأستاذ الّذي يرغب فيه وفقًا لمرامه.

وكان الأستاذ الّذي يجتذب إليه الطلبة الشباب، المتعطّشين منذ الوهلة الأولى، هو الشخص الّذي كان معروفًا بين تلاميذه في تلك الأيام باسم «السيد روح الله».

وكان الشباب الأفاضل المثابرون المتحمّسون مجتمعين في حلقة درسه. وفي مثل هذا الجوّ كان دخولنا إلى قم.

الإمام قدس سره العالم والمربي

كان الإمام الخمينيّ مظهرًا للتجديد العلمي، والتبحّر في الفقه والأصول. وكنت قد شاهدت من قَبله أستاذًا بارعًا في مشهد، وهو المرحوم آية الله الميلاني، الّذي كان من الفقهاء البارزين، وكان زعيم الحوزة العلميّة في قم آنذاك هو المرحوم آية الله العظمى البروجردي[1] الّذي كان أستاذًا للإمام الخمينيّ، وكان هنالك أيضًا أساتذة كبار آخرون، إلاّ أنّ الوسط الدراسي الّذي كان يجتذب إليه القلوب الشابّة المتلهّفة الدؤوبة المتحفّزة نحو تفعيل الطاقات، هو درس الفقه والأصول الّذي كان يُلقيه الإمام.

(1) ولد آية الله البروجردي عام 1292هـ. في مدينة بروجرد، وتوجّه منذ طفولته إلى تحصيل العلوم الدينيّة. بعد الانتهاء من المقدّمات، انتقل إلى دار العلم في أصفهان حيث كان آنذاك في عمر الثامنة عشر. ثمّ انتقل إلى النجف الأشرف بعد ثماني سنوات من الإقامة في أصفهان. درس آية الله البروجردي في النجف على أيدي علماء كبار أمثال الآخوند الخراساني، العلّامة اليزدي، الآغا شريعت الأصفهاني عليهم الرحمة، ووصل إلى مرتبة الاجتهاد في العلوم العقليّة والنقليّة. وفي سنّ الثلاثين أصبح في رديف أساتذة الحوزة في النجف الأشرف. وبعد عشر سنوات من الإقامة في العراق، رجع آية الله البروجردي عام 1328هـ إلى بروجرد فعمل لمدّة ثلاثين سنة في التبليغ والتدريس والتأليف. أصبح بعد مدّة من أبرز أساتذة الحوزة في قم إلّا أنّ الإقامة فيها لم تستمرّ طويلًا حيث رجع إلى موطنه. ثمّ رجع البروجردي إلى قم حيث أقام فيها قرابة 16 سنة، عمل فيها لخدمة الحوزة العلميّة والارتقاء بها فوصل شعاعها إلى كافّة أنحاء العالم. وفي أيّام آية الله البروجردي، أصدر الشيخ شلتوت رئيس جامعة الأزهر فتواه القاضية بالاعتراف بالمذهب الجعفريّ إلى جانب المذاهب الأربعة. توفّي آية الله البروجردي في شوّال عام 1380هـ. عن عمر تسعين سنة على أثر إصابته بعارض قلبيّ، ودفن إلى جانب المسجد الأعظم.

وأخذنا نسمع تدريجًا - من الطلبة الأقدم منّا - بأنّ هذا الرجل فيلسوف كبير أيضًا، وكانت دروسه الفلسفيّة أوّل دروس فلسفيّة في قم، غير أنّه يرجّح في الوقت الحاضر تدريس الفقه، وسمعنا كذلك أنّ هذا الرجل كان معلّمًا للأخلاق، وكان هنالك أشخاص يحضرون دروسه في الأخلاق. وقد أبدى اهتمامًا جادًّا بتقوية الفضائل الأخلاقيّة لدى الشباب. وهذا ما لمسناه عن كثب أثناء دروسه عبر سنوات طويلة، وإلى هذا الحد كانت شخصيّة هذا الرجل - الّذي يزخر باطنه بالخصائص المجهولة - معروفة بالنسبة إلى أكثر الناس آنذاك بصفته أستاذًا عالمًا ومربّيًا فاضلًا ومهذّبًا لأخلاق الطلبة والتلاميذ.

الإمام الخمينيّ المرجع والقائد الثوري

في عام 1340هـ ش، [1962م] توفي آية الله البروجردي الّذي كان مرجع التقليد في عهده، وطرحت أسماء مجتهدين كبار من قِبَل أصدقائهم للتصدّي لأمر المرجعية. وتبيّن في تلك الأثناء أنّ الدروس الأخلاقيّة الّتي كان يُلقيها الإمام لم تكن مجرّد كلام أو محض معلومات يُلقيها على أسماع الآخرين، بل أنّه أوّل من يعمل بتلك الدروس الّتي يُراد منها تهذيب الأنفس. وثبت للجميع أنّ هذا الرجل زاهد بالمنصب والرئاسة، حتّى وإن كانت تلك الرئاسة مرجعيّة أو زعامة روحيّة ومعنويّة، وأنّه لا يسعى من أجل المقام

والمنصب والجاه، بل ويُحاول ما استطاع منع الآخرين من السعي لأجل هذه الغاية.

بدأت إرهاصات النهضة الإسلاميّة بعد سنة ونصف من وفاة المرحوم آية الله البروجردي. وفي النصف الثاني من عام 1341هـ ش، [1963م] تجلّى بُعد آخر من أبعاد هذه الشخصيّة، تجسّد في وعيه وشدّة ذكائه وتفطّنه لأمور لم يكن غالبًا يُفطن لها هذا من جهة، وغيرته الدينيّة من جهة أخرى.

فالكثير قد سمعوا حينذاك قرار الحكومة بإلغاء شرط الإسلام والقسم بالقرآن عن النوّاب المنتخبين لعضويّة المجلس الوطني، إلاّ أنّ الكثيرين لم يلتفتوا إلى مدى خطورة هذا الأمر، لكنّه في الواقع كان على جانب كبير من الأهميّة والخطورة؛ ففي الوقت الّذي كان فيه المجلس الوطني آنذاك مجلسًا صوريًّا، والسلطة هي الّتي كانت تشكّله، ولم يدخله إلاّ المرشّحون من قبلها، وكانت العمليّة كلّها عمليّة تنصيب وليست عمليّة انتخابات شعبيّة، ولكن مع كل ذلك لم يكن النظام ليتجرّأ على طرح القرارات المتعلّقة بالنقابات، وقرار إسقاط شرط الإسلام حينما كان المجلس قائمًا؛ لأنّه كان يخشى ردود فعل المجلس فعمد إلى حلّه، واتخذ تلك القرارات وراء الكواليس. وهذا ما يدل على أنّ وراء هذه القضية كلامًا كثيرًا وغايات خطيرة، ولم يلتفت أحد حينها إلى هذا الأمر، إلاّ أنّ الإمام الخمينيّ أدركه وتصدّى له، ودفعته غيرته الدينيّة إلى الأخذ بزمام

المبادرة في هذه القضيّة والشروع بمجابهة هذه المشاريع المناهضة للإسلام، حتّى وإن بدت قليلة الأهميّة؛ وهذا ما قام به فعلًا.

توجد ها هنا قضيّة مهمّة، وهي: أنّ الإمام الخمينيّ لم يكن راغبًا بحيازة كسب السبق حتّى في ميدان الجهاد، حيثُ نَقل لنا بنفسه، أنّه كان يتحدّث ذات مرّة في دار المرحوم آية الله الحائري مع أحد المراجع المعروفين وكان زميلًا له في الدراسة، فقال له: كن في المقدّمة ونحن نسير وراءك. وكانت غاية الإمام أن يتمّ أداء التكليف، إذ كان المهم بالنسبة له هو أداء الفريضة الّتي كان يشعر بأنّها ملقاة على عاتقه، ولم تكن قضيّة التصدّي والتقدّم ذات أهميّة بالنسبة له.

من الطبيعي أنّ الآخرين لم يكن لديهم من الجرأة والإقدام على الدخول في هذا المعترك مثل ما كان لدى الإمام، وقد أخذ هو بزمام الأمور في هذا الميدان بشكل تلقائي، وبدأ بمجابهة النظام اعتمادًا على الجماهير.

لم يكن أحد من أكابر الحوزة العلميّة والمراجع يظن أنّ الحركة الدينيّة سوف تستطيع – لا سيّما في ظروف الكبت الرهيبة تلك - أن تحصل على مثل هذا الدعم الجماهيريّ، إلاّ أنّ الإمام صرّح منذ ذلك اليوم بأنّه يتحرّك بمساندة الشعب، وأنّه سيدعو الشعب إذا ما اقتضت الضرورة إلى التحشّد في البراري القريبة من قم، وكان واثقًا أنّه لو دعا الشعب لاجتمعت له كل إيران، ولحصل اجتماع جماهيري هائل تعجز الحكومة الفاسدة - في ذلك الحين - عن معالجته.

تجلّى وقتئذٍ بُعد جديد من شخصيّة هذا الرجل على الصعيد العمليّ، تمثّل في مقدرته القياديّة، وشجاعته السياسيّة، ومعرفته بدقائق الأساليب الّتي يتّبعها العدو، ووعيه بأهداف العدو.

وعندما حلَّ عام 1342هـ ش، [1964م]، وهو العام الثاني من أعوام النهضة، واتّسم بالمذابح والقسوة وكثرة الضغوط، أشرق الإمام الخمينيّ كالشمس في سماء آمال الشعب الإيرانيّ، فكان بركانًا من الفداء اجتمعت فيه كل الخصال اللازمة للرجل الوطنيّ، وللرجل الإسلاميّ، وللرجل العالميّ، وكان يتحلّى بالشجاعة والصراحة والقدرة على تعبئة الجماهير، سواء في بداية عام 1342 هـ ش، [1963م] حين هجمت القوات الخاصة على المدرسة الفيضيّة وعلى الحوزة العلميّة في قم، أم في الخامس عشر من خرداد عام 1342 هـ. ش[1] حين تجسّدت عظمة الإمام، إذ شعر الشعب

(1) توجه الإمام الخميني قدس سره في الساعة الرابعة من عصر يوم عاشوراء من عام 1963م إلى المدرسة الفيضيّة. وبعد أن شرح سماحته في خطابه للعلماء والناس أبعاد فاجعة كربلاء الأليمة، اعتبر واقعة الفيضيّة شبيهة بما حدث على ربى الطف في صحراء كربلاء في عام 61 للهجرة. واعتبر الإمام الراحل قدس سره نظام الشاه عميلًا لإسرائيل وأنّ اسرائيل كانت تقف وراء ما حدث في المدرسة الفيضيّة.
هذا الخطاب جاء كضربة قويّة للنظام البهلوي وفضح الشاه وجعله أكثر حقارة عند الناس. ومن بعد يومين على ذلك الخطاب، ومع طلوع فجر يوم الخامس عشر من خرداد من عام 1342هـ. ش، 5 حزيران 1963م، هاجم رجال الشاه منزل الإمام الخميني قدس سره في مدينة قم المقدسة، وبعد اعتقال سماحته نُقل إلى العاصمة طهران.
وسُجن سماحته أوّل الأمر في زنزانة انفراديّة، ثم نقلوه الى قاعدة عسكريّة كانت الحراسة عليها مشددة. وما أن انتشر خبر اعتقال سماحة الإمام قدس سره حتّى شهدت المدن الإيرانيّة المختلفة، مثل العاصمة طهران وقم وورامين ومشهد وشيراز اعتراضات واسعة ومنذ الساعات الأولى من اليوم، وكانت تلك الاعتراضات مقرونة بشعارات معادية للشاه، ومسائدة للإمام ومؤيّدة له.
قوات الجيش الّتي كانت قد تمركزت في المناطق المهمة في العاصمة طهران، وفي مدينة قم المقدسة فتحت النار على المتظاهرين. واستمرت المظاهرات في ذلك اليوم واليومين اللذين تلياه.

الإيرانيّ من ساعته أنّ له سندًا وملاذًا، وأنّ هناك قمّة شامخة يُمكنه أن يتطّلع إليها ويبني آماله عليها. وعلى هذا النحو ظهر الإمام على الساحة في الخامس عشر من خرداد.

سنوات المنفى

وبعد تلك الأحداث سادت حالة شديدة من الضغط والكبت، صاحبتها أحكام بالسجن والنفي على الكثير من الناس. ولم يكن دخول السجن وما يرافقه من مصاعب مشكلة عصيبة بالنسبة لنا نحن الّذين كنّا حينها في مرحلة شبابنا؛ إذ كان السجن لنا أشبه ما يكون بالتسلية، أمّا بالنسبة للإمام فقد كان حينها في حوالي الثالثة والستين من عمره، ولكن مع ذلك كان قادرًا على استنهاض الأمّة بمشاعره الجيّاشة، إلاّ أنّ دخول السجن أو النفي بالنسبة لشخص في مثل هذه السن لم يكن بالأمر الهيّن.

ومع كل ذلك تجلّت فيه معالم الإيثار والفداء وتحدّي المخاطر، وكان هذا أيضًا بُعدًا آخر من أبعاد شخصيّته؛ بمعنى أنّه لم يكن هنالك مانع يستطيع الحيلولة بينه وبين مُثُله العليا أو سعيه لأداء تكليفه الشرعيّ.

وانتهت أحداث عامي 1342 و1343 هـ ش، [1964 و1965م] إلى نفي الإمام لمدّة أربع عشرة سنة، في البداية إلى تركيا ثمّ إلى العراق.

وفي فترة النفي ظهرت أبعاد جديدة من شخصيّة هذا الرجل الفريد، الّذي قلّما تجد له نظيرًا في عصرنا، وهي أبعاد نادرًا ما يُلاحظ المرء بعضها في حياة الشخصيّات الكبرى، وهي:

أوّلاً: طرح نفسه كمنظّر فكريّ، نهض بمهمّة التخطيط والتنظير لحكومة ولنظام ولإرساء أُسس بناء وكيان جديد، دون أن يكون أمام عينيه نموذج سابق ملموس، لكي يُخطط على ضوئه؛ وذلك لأنّ التخطيط لبناء إسلاميّ، يأخذ متطلّبات الحياة العصريّة والقضايا المطروحة في عالم اليوم بنظر الاعتبار، يُعدّ بحدّ ذاته تنظيرًا لنظام جديد.

ثانياً: على الرغم من عدم وجوده في إيران خلال مدّة أربع عشرة سنة عاشها في المنفى، إلاّ أنّه كان يقود ويوجّه أحداث الثورة الإسلاميّة عن بعد.

فعلى امتداد فترة الأربع عشرة سنة هذه كان الضغط والكبت على أشده، وخاصة في السنوات الأخيرة منها، أي من عامي 1349 و1350هـ ش،[1971م و1972م] وحتى عامي 1354 و1355هـ ش، [1976 و1977م] ، حيث كانت تظهر إلى الوجود أحزاب وجماعات سياسيّة وغير سياسيّة، ولكنها كانت تضمحل وتتلاشى تحت وطأة الضغوط الّتي يُمارسها النظام، أو أنّها كانت تفقد مزاياها وخواصّها، وبعضها الآخر يحظى بدعم سياسي دولي بسبب ارتباطه بالشرق أو بالغرب - وخاصة بالشرق - حيث كان يحصل على الدعم والتوجيه من هناك.

أمّا نهضة الإمام الخمينيّ فلم تكن تعتمد على خلايا أو مؤسسات حزبيّة داخل البلاد، بل كان للإمام تلاميذ وأصدقاء ومعارف يحملون أفكاره في أوساط الجماهير. وهو حينما كان يصدر بياناته لم يتوجّه بالخطاب إلى أولئك التلاميذ والأصدقاء على وجه الخصوص، إنّما كان يخاطب ويوجّه عموم الجماهير، واستطاع طوال فترة الأربع عشرة سنة تلك أن يزرع في الأذهان بذور النهضة الإسلاميّة أولًا، وأن يُوسّع مداها على صعيد الشعب ثانيًا، حيث كسب إليها قلوب وأفكار وإيمان الشباب؛ لكي يُهيّئ الأرضيّة لقيام تلك الثورة الكبرى.

وإنّ الكثيرين قدّموا أعمالًا كُبرى وتضحيات جِسامًا، ولكن لولا مركزيّة الإمام لَما تحقق أيّ من هذه الإنجازات، ولحبطت جميع الجهود، ولسرى اليأس إلى النفوس، والشخص الوحيد الّذي لم يُصبه الإعياء أو اليأس هو الإمام الخمينيّ الّذي كان الآخرون يستقون القوّة والعزم من قوّته وعزمه.

ثمّ تلا ذلك توجيه تلك الحركة الثوريّة والنهضة الكبرى طوال مدّة أربع عشرة سنة، وبفضل قائدها الكبير تمّ اجتياز كل العراقيل والموانع الّتي واجهتها، إلى درجة اندحرت معها الأفكار المعادية للإسلام ونُحّيَت جانبًا.

وأثبت الفكر الإسلاميّ يومًا بعد آخر تفوّقه على الأفكار الأخرى، وكان وجود الإمام ملموسًا في كل الأحداث المهمّة.

وفي عام 1347 هـ ش، [1969م] طرح الإمام حينما كان في النجف - مركز الفقاهة - فكرة ولاية الفقيه استنادًا إلى ثوابت فقهيّة راسخة.

وأمّا ما يقوله بعض أنصاف المتعلّمين، من أنّ الإمام الخمينيّ ابتكر فكرة ولاية الفقيه من عنده ولم يقرّها سائر العلماء، فهو ناجم عن الجهل بهذا الموضوع، والمطّلع على آراء الفقهاء يدرك أنّ ولاية الفقيه من الواضحات في الفقه الشيعيّ، وكل ما فعله الإمام هو أنّه استطاع صياغة هذه الفكرة على أُسس رصينة وأدلّة متقنة وتقديمها بشكل مقبول ومفهوم لكل صاحب رأي ومطلع على المذاهب السياسيّة وعلى القضايا السياسيّة في عالمنا المعاصر.

وفاة نجله مصطفى

وتجلّى في حادثة وفاة نجله بُعد آخر من أبعاد شخصيّته الكبرى، إذ هناك بطبيعة الحال علماء وأكابر وشجعان كثيرون، إلاّ أنّ الأشخاص الّذين امتدّت وتجذّرت هذه المثل العظمى في أعماق مشاعرهم وفي سويداء قلوبهم ليسوا كثيرين.

وهذا الرجل الّذي شارف على الثمانين من عمره في ذلك الوقت، نقل عنه أنّه قال عند وفاة نجله الفاضل - حيث كان نجله في الواقع عالمًا ممتازًا ورجلًا بارعًا وأملًا للمستقبل - جملة واحدة، وهي «إنّ وفاة مصطفى من الألطاف الإلهيّة الخفيّة»، معتبرًا وفاته

رحمة إلهيّة خفيّة، بمعنى أنّه نظر إلى تلك الحادثة وكأنّها لطف من الله به.

فالشدائد والمصائب الّتي نزلت بهذا الرجل في عهد الثورة وتحمّلها كالطود الشامخ تكمن جذورها في هذه العظمة الروحيّة الّتي جعلته ينظر إلى وفاة نجله بمثل هذه النظرة.

ثمّ تلت ذلك هجرته من العراق وسفره إلى الكويت ثُمّ إلى فرنسا، إذ قال حينها: إذا لم يسمحوا لي بالإقامة في بلد سأظلّ أتنقّل من مطار إلى مطار وسأوصل صوتي إلى أسماع العالم كلّه.

وهناك أيضًا انعكست تلك الشجاعة، وذلك الثبات وسعة الصدر، وتلك المقدرة القياديّة الإلهيّة الّتي قلّما تجد لها نظيرًا في التاريخ، ثُمّ أعقب ذلك مجيئه إلى إيران، وتعامله مع الأحداث، وتأسيسه للحكومة الإسلاميّة.

إنّ شخصيّة قائدنا وإمامنا الكبير تحتلّ موقعها والحق يُقال بعد أنبياء الله وأوليائه والمعصومين، ولا يُمكن مقارنتها مع أيٍّ من الشخصيّات الأخرى. لقد كان وديعة إلهيّة في أيدينا، وكان حجّة علينا، وآيته لنا، حتّى أنّ المرء عندما يراه يعرف عظمة أولئك الأولياء.

خصوصيات ومواصفات شخصية الإمام الخميني قدس سره

تجلّت شخصيّة الإمام الخمينيّ في مقام القيادة والحكومة كرجلٍ واعٍ ومدبّرٍ وشهمٍ وبارعٍ وجريء. وكانت العواصف العاتية ليست ذات بالٍ بالنسبة له، ولم تكن هناك من حادثة قادرة على إلحاق الهزيمة به أو إرغامه على الانحناء لها، فكان أكبر من كل الأحداث المريرة والعصيبة الّتي وقعت على مدى عشر سنوات من زعامته، ولم تتمكّن أيّ من وقائع الحرب أو الهجمة الأمريكيّة، أو مؤامرات الانقلاب العسكري، وحوادث الاغتيالات الرهيبة، والحصار الاقتصادي والممارسات العدوانيّة الّتي اتخذت أبعادًا وصورًا شتّى، من أن تفتّ عضده أو تشعره بالوهن والضعف، بل خرج منها أصلب عودًا وأشدّ شكيمة؛ لأنّه كان يُؤمن بالشعب ويثق برأي الشعب، وكان يُحبّ الشعب من أعماق قلبه.

لقد اجتمعت في شخص الإمام أغلب المزايا والمواصفات الّتي امتاز بها القادة العالميون على حدّ ما تقصّيتُ وما توصّلتُ إليه؛ فقد كان عاقلًا وبعيد النظر، ونبيهًا وعارفًا بطبيعة الأعداء، وكثير الثقة بأصدقائه، وكانت ضرباته لأعدائه قاصمة، فقد توفّرت فيه

كافة الصفات الواجب توفّرها لدى الإنسان؛ من أجل أن يكون قادرًا على تبوّؤ مثل هذا الموقع الحساس، وإرضاء ربّه وضميره[1].

وليس لنا إذا أردنا التحدث عن شخصيّة إمامنا - ذلك الإنسان السامي والمسلم الحرّ - إلاّ أن نلوذ بالقرآن الكريم، فنتأمل في آياته الّتي وصفت عباد الله الصالحين.

لقد كان مصداقًا للمجاهدين المهاجرين المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2]، فهبّ يستقبل الأخطار واضعًا روحه على كفه سالكًا سبيل الله، فكان من الّذين رضي الله عنهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[3]، فنهض نهضته التاريخيّة الكبرى من أجل إقامة العدل والقسط وإنقاذ المستضعفين من الظلم والتمييز العنصري، فلبّى نداء الله في قوله تعالى ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾[4] و﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[5]، وكان شديدًا على الكفار عنيفًا على المشركين رؤوفًا عطوفًا على المسلمين، وكان بذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[6]. كان يذوب تهجّدًا

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

(2) سورة الأنفال، الآية 72.

(3) سورة البقرة، الآية 207.

(4) سورة المائدة، الآية 8.

(5) سورة النساء، الآية 135.

(6) سورة الفتح، الآية 29.

وتضرّعًا للّه سبحانه ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[1]، وكان ينهى عن الفحشاء والمنكر ويُجاهد في سبيل الله حتى صار من الّذين ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2].

لقد قضى أيّام عمره وساعاته ولحظاته يُراقب ويُحاسب، وقد تألّقت أمام عينيه مئات الآيات القرآنيّة الّتي تصف المخلصين والمتقين والصالحين، فلم يُجسّد القرآن في الحياة الاجتماعيّة ولا بتشكيل المجتمع الإسلاميّ فحسب بل وفي نفسه وحياته أيضًا[3].

كان رجلًا ذا إرادة صلبة وعزم راسخ بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، وكان مؤمنًا بنهجه إيمانًا قاطعًا. ومثلما وصف القرآن الرسول بقوله ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾[4] كان هو مؤمنًا بنهجه إيمانًا كاملًا، وكان صادقًا وصريحًا، ولم يكن من ذي الألاعيب والحيل السياسيّة. وكان على قدر كبير من الفطنة والرؤية المستقبليّة، وكانت لديه مقدرة عالية على استشراف الخطوات المستقبليّة ... ومعنى هذا أنّ الصفات الذاتيّة للإمام كان لها تأثير بالغ. هذا إضافة إلى اعتماده على الإسلام وعلى إيمان واعتقاد الجماهير[5].

---

(1) سورة الإسراء، الآية 79.

(2) سورة المجادلة، الآية 22.

(3) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

(4) سورة البقرة، الآية 285.

(5) المناسبة: اليوم الثاني من عشرة الفجر المباركة، الزمان: 17 شوال 1417 هـ.

[وفيما يلي بعض من خصوصيّات وصفات هذه الشخصية العظيمة]:

النموذج الأقرب للأنبياء والمعصومين عليهم السلام

إنّ شخصيّة قائدنا وإمامنا الكبير تحتلّ موقعها والحق يُقال بعد أنبياء الله وأوليائه والمعصومين. ولا يُمكن مقارنتها مع أيٍّ من الشخصيّات الأخرى. لقد كان وديعة إلهيّة في أيدينا، وكان حجّة علينا، وآيته لنا، حتّى أنّ المرء عندما يراه يعرف عظمة أولئك الأولياء.

إنّنا عاجزون عن تصوّر عظمة السلف الصالح من نبيّنا صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وسيّد الشهداء عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام، وسائر أولياء الله الكرام. إنّ أذهاننا أصغر من أن تستوعب عظمة أولئك الكبار. ولكنّنا عندما نشهد شخصيّة في مستوى إمامنا الحبيب بكلّ أبعادها المختلفة: من إيمان عميق، وعقل متكامل، وحكمة، وفطنة وصبر مع حلم، وصلابة مع صدق، وصفاء مع زهد وإعراض عن زخرف الحياة الدنيا، وتقوى وورع، وعبوديّة خالصة لله سبحانه وتعالى، ثمّ نشاهد كيف تتواضع وتتضاءل هذه الشخصيّة الكبيرة في رحاب تلك الكواكب الساطعة في سماء الولاية، حتى تكاد أن تذوب كلّ ذرّاتها، عندما نرى ذلك نُدرك كم هي عظيمة نفوس الأنبياء والمعصومين عليهم السلام[1].

(1) المناسبة: البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 04 ذي القعدة 1409 هـ.

إنّ هذه الشخصيّة الشموليّة لا مثيل لها بين علمائنا الكبار، ولا بين حكام هذا البلد، ولا بين المصلحين ودُعاة التجديد فيها. فأين الكبار والمجددين في بلادنا، بل وحتّى في العالم الإسلاميّ، من شخصيّة هذا العملاق ذات الأبعاد العميقة الّتي لا يُمكن أن توصف؟ وعندنا علماء وفقهاء كبار لا تزال أقوالهم ومواقفهم بين أيدينا، والإمام الكبير يقف في مقدّمة هذه الشخصيّات.

إنّنا حينما ننظر إلى أنفسنا، نجد أنّ المسافة بيننا وبين الأنبياء وأولياء الله وعباده العظام عميقة وبعيدة المنال، إلا أنّ الإمام العظيم أرانا - في فترة غياب الأنبياء وانقطاع الوحي - من خلال تواجده وفكره وسلوكه نموذجًا حيًّا للولاية الروحيّة.

إذا أردنا تشبيه الإمام فلا بُدّ من تشبيهه بالأنبياء، إذ إنّ هويّة الأنبياء لا تنحصر بمدّة حياتهم، إنّما تمتدّ عبر التاريخ، حيث يمتدُّ بهم الوجود بعد موتهم بوجود تعاليمهم ورسالتهم ومناهجهم، وإلا فإنّ حياة الأنبياء لا تختلف عن حياة غيرهم من بني البشر حيث يعيشون خمسين أو ستين أو مائة سنة، ويقومون بأعمال جليلة، ثمّ تُطوى صفحاتهم، وعليه فالمسألة لا تقف عند هذا الحد. وإلّا لما بقي لدينا من تعاليم الأنبياء شيء، في حين أنّ الأمر على العكس من ذلك، فإنّ جميع المعارف البشريّة الإسلاميّة حاليًا وليدة تعاليم الأنبياء عليهم السلام، ولو بالواسطة.

فهم الّذين رفعوا راية العدل والأخلاق وعبادة الله والتنكر للذات،

والتضحية من أجل الآخرين، وغير ذلك من الفضائل الّتي يُجمع على استحسانها جميع أبناء البشر مع اختلاف قوميّاتهم وأديانهم وإلّا كانت الدنيا بيد المستكبرين والطغاة.

فما هو السبب في بقاء العدالة وحريّة التفكير والإخاء والتضحية والإيثار بوصفها قيمًا حيّة؟ إنّما كان ذلك بفضل تعاليم الأنبياء، فهم الّذين بلّغوا هذه التعاليم قبل أن يرتحلوا، إذ لم تقتصر حياتهم على تلك السنوات الخمسين أو الستين.

فإنّ حياتهم عبارة عن امتداد تلك المعارف عبر التاريخ بغية هداية الإنسان. **وهكذا هو الحال بالنسبة لإمامنا**[1].

والإمام العظيم كان مظهرًا لقيم الثورة. لقد سُئلت إحدى نساء النبيّ الأكرم أن تصفه، فقالت: «**كان خلقُهُ القرآن**»، أي أنّه كان قرآنًا مُجسّمًا. وحريٌّ بنا القول اليوم بشأن إمامنا العظيم، **إنّه كان إسلامًا ثوريًّا مجسّمًا، إسلامًا أصيلًا** مجسّمًا في حياته وأخلاقه ومشاعره وقراراته وكذا في فنائه في الله؛ فكان أن جازاه الله. إنّ ما تحقق على يديه في هذا العصر قلَّ نظيره، فلم يقم بمثل هذه الحركة العملاقة أحدٌ بعد الأنبياء من أولي العزم[2].

إنّ الإمام القائد انتهج في التخطيط لهذه الثورة، وفي بلورة النظام السياسي على أُسسها - أي إقامة حكومة ونظام الجمهوريّة

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 22 ربيع الثاني 1426 هـ.
(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 10 ذي القعدة 1410 هـ.

الإسلاميّة - بفضل اللّه ورعايته، نهجًا كنهج الأنبياء والأولياء المرتبطين بمصدر الغيب. وهذا يُعزى إلى محبة الإمام للقرآن ولكونه تلميذًا في مدرسة القرآن، ولأُنسه بالقرآن، ولأنّه كان يستعين به وقد جعل منه منهجًا لحياته. وهذه واحدة من النتائج والانعكاسات الكبرى والباهرة لتلك الحقيقة[1].

إنّ سلطة الإمام كانت على غرار حكومة الأنبياء، ولم تكن أبدًا كمثل حكومات الجبابرة والجائرين؛ ولهذا فإنّكم عندما تتأملون في حياة الإمام فإنّكم تجدون أنّ تلك العلاقة والصلة باللّه تُدخل على قلبه السكينة والهدوء[2].

الإيمان والإخلاص عامل قوتنا وأساس صمودنا، وأسوتنا في هذه القيم ذلك العظيم الّذي هزّ برحيله الدنيا. لقد كان ذلك العزيز من أولياء الله، فكان رحيله كرحيل الأنبياء.

لقد كان إيمانه باللّه يُمثّل الذروة، وكان خالصًا لا تشوبه شائبة، وكان مضحّيًا مستعدًا لكل المهمّات منذ بدء نهضته[3].

[أخيرًا] انعكست شخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره الفذّة على أفقين:

الأوّل: أُفق القائد والمتصدّي لزمام الأمور.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 28 محرم 1418 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الثامنة عشر لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 18 جمادي الأولى 1428 هـ.

(3) المناسبة: البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 15 ذي الحجة 1409 هـ.

الثاني: أفق الزاهد والعارف؛ لأنّ مزج هاتين الصفتين مع بعضهما عمل لا يتسنّى للإنسان مشاهدته، إلاّ لدى الأنبياء مثل داود وسليمان عليهما السلام ومثل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

وهذه حقائق لمسها الشعب الإيراني طوال سنوات متمادية، وشهدناها نحن عن قرب.

هكذا تكون التربية الإسلاميّة والقرآنية، وإلى مثل هذا دعا الإمام الجميع، وأراد نظامًا إسلاميًّا لتربية أُناس من هذا القبيل، مثلما كان هو مظهرًا بارزًا له[1].

الزهد العرفان

هذا الإنسان نفسه [الإمام الخمينيّ قدس سره] حينما ينظر إليه المرء في إطار حياته الخاصّة، يراه شخصًا زاهدًا عارفًا منقطعًا عن الدنيا، والمراد طبعًا من الدنيا هي: الدنيا الذميمة، الّتي وصفها بقوله: **إنّ الدنيا القبيحة هي ما في ذات الإنسان، وإلاّ فإن ظواهر الطبيعة من أرض وأشجار وسماء واختراعات وما شابه ذلك ليست قبيحة، وإنّما هي نِعَم إلهيّة؛ يجب الاهتمام بها.**

الدنيا القبيحة هي المشاعر الأنانيّة، والطمع والأهواء الموجودة في ذات الإنسان؛ وهذه هي الدنيا الّتي كان الإمام منقطعًا عنها كلّيًا.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

لم يكن الإمام يُريد شيئًا لذاته، وحتّى أنّه لم يشترِ أثناء وجوده على رأس السلطة ولو دارًا لنجله الوحيد المرحوم الحاج السيّد أحمد [بعد استشهاد نجله السيّد مصطفى] الّذي كان أعزّ إنسان إلى قلبه، وهذا ما سمعناه منه مرّات عديدة، حيث أكّد أنّ أعز الناس بالنسبة له هو السيد أحمد.

وقد ذهبنا مرّات عديدة ورأينا أعزّ إنسان على قلب الإمام يعيش في غرفتين أو ثلاث في الحديقة الواقعة خلف الحسينيّة الّتي كان فيها بيت الإمام.

لم يكن ذلك الإمام العظيم راغبًا في كل زخارف الدنيا وزبرجها وأطماعها. لقد كانت تصله هدايا كثيرة، إلاّ أنّه كان يُقدّمها في سبيل الله، حتّى أنّه كان يدفع أمواله الخاصة إلى بيت المال. هذا الشخص الّذي لم يكن على استعداد لشراء دار مناسبة لنجله ولو بقيمة عشرة ملايين أو خمسة عشر مليون تومان من أمواله الخاصّة، كان يُنفق مئات الملايين من تلك الأموال على شؤون الإعمار وإعانة الفقراء ومساعدة المتضرّرين بالسيول في نقاط مختلفة من البلاد.

كُنّا على اطلاع على أنّه كان يُعطي من أمواله الخاصّة - التي تُقدّم له كهدايا من محبّيه وأنصاره وأصدقائه - إلى بعض الأشخاص لإنفاقها في مظانّها[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ

إنّ شعار «بساطة العيش» كان أحد شعاراتنا ما قبل انتصار الثورة؛ وليس من شعارات الثورة، بل من شعاراتنا المحبّبة في مجموعة الأصدقاء الّتي كنّا فيها، حيث كنّا نفكّر معًا ونناضل معًا؛ العيش البسيط والعزوف عن مظاهر الدنيا. وبعد أن انتصرت الثورة عملنا على اتّباع هذا الأسلوب وهذا الشعار، وهذا المبنى. إمامنا العظيم كان بنفسه مظهرًا لهذا المعنى، كان إنسانًا لا يُعطي قيمةً للمصالح الدنيويّة، وكان المرء يُشاهد حقيقة هذا الأمر وكيف أنّ هذا الإنسان المعنويّ العظيم لا يُعير اهتمامًا لأيّ من المصالح أو التعلّقات أو التوجّهات الدنيويّة[1].

الإخلاص

كان مظهر الروحانيّة في الإمام الجليل وبالدرجة الأولى إخلاصه. كان الإمام يقوم بالعمل لله. فمنذ البداية كان كُلّما أدرك التكليف الإلهيّ يؤدّيه، ولم يأبَ الإمام أيّة تضحية على هذا الطريق. فمنذ بداية المواجهات والنضال في العام 1962م كان الإمام على هذا المنوال، يتقدّم من خلال التكليف. ولطالما ردّد هذا الدرس على الناس والمسؤولين أنّ ما هو مهمّ هو التكليف. نحن علينا أن نؤدّي تكليفنا ونتيجة عملنا بيد الله. لهذا كان مظهر الروحانيّة المهمّ في سلوك الإمام عبارة عن إخلاصه.

(1) الهواجس الثقافيّة عند الإمام الخامنئي ﷺ، دار المعارف الحكميّة، بيروت، 2014م، ص175.

لم ينطق بكلمة أو يفعل فعلًا أو يُقدم خطوة من أجل الحصول على ثناء وتمجيد هذا وذاك. فما أدّاه لوجه الله نال عليه البركة من الله وصار خالدًا. فهذه هي خاصيّة الإخلاص. كان الإمام يُكرّر هذه الوصيّة على المسؤولين، فكان يأمرنا بأن نكون من المتوكلين والواثقين بالله الّذين يُحسنون الظن بربّهم ويعملون لله. وكان هو من أهل التوكل والتضرّع والتوسّل والاستمداد من الله ومن أهل العبادة. فبعد نهاية شهر رمضان عندما كان المرء يرى الإمام كان يشعر بنورانيّته شعورًا حسيًّا. كان يستفيد من فرص الحياة من أجل التقرّب إلى الله تعالى ومن أجل تطهير قلبه وروحه الطاهرة. وكان يأمر الآخرين ويقول: إنّنا في محضر الله. العالم محضر الله. العالم محلّ حضور التجلّيات الإلهيّة. وكان يوجّه الجميع في هذا الاتّجاه. وكان من الّذين يُراعون الأخلاق ويوجّه الآخرين نحو الأخلاق. فقسمٌ مهمّ من الروحانيّة في الإسلام عبارة عن الأخلاق واجتناب المعاصي، والبُعد عن الطعن وسوء الظنّ والغيبة وسوء السريرة والفرقة. كان الإمام الجليل نفسه يُراعي هذه الأشياء ويُوصي الناس بها وكذلك المسؤولين[1].

إنّ العمل الّذي قام به الإمام يا أعزائي - وهو أعظم عمل شهده تاريخنا المعاصر - كان بفضل إخلاصه. فلولا الإخلاص لما كانت حتّى شخصيّة الإمام الصلبة وجوهره المتين قادرة على السير قُدمًا

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 1 رجب 1432 هـ.

بكل هذه المهام؛ فقد اجتثَّ حكومة فاسدة ومتسلطة كانت تحظى بدعم جميع القوى الاستكباريّة من جذورها وأنقذ الشعب من شرّها، وأسس على أنقاضها حكومة الهيّة، فقضى بذلك على كل ذلك الفساد في المجتمع وأنهى تغلغل الأعداء وهيمنة أمريكا الّتي أذلّت وأهانت الشعب الإيراني على مدى القرنين السالفين وأبقت عليه في حالة من التخلّف. وليس هذا بالأمر اليسير.

وبعد انتصار الثورة أُضرمت الحرب واستمرت ثماني سنوات اصطفت فيها كافّة القوى العالميّة إلى جانب الجبهة المقابلة لنا، فأنهاها بانتصار الشعب الإيراني، وأفشل جميع ما دُبّر من مؤامرات، ولم يكن ليتحقق كل هذا لولا بركة ما كان يتصف به الإمام من إخلاص.

وحين رحيله عن هذه الدنيا شيّعه تسعة ملايين إنسان في شوارع طهران، ليوارى في الثرى في مرقده ومقامه الأبدي. هذا كله كان بفضل الإخلاص. واليوم أيضًا ما برح اسمه - بحمد اللّه - يرتفع في العالم يومًا بعد آخر، ومحبوه والموالون له يزدادون عددًا في كل أرجاء العالم.

فما معنى الإخلاص؟ لو كان لديكم إخلاص الإمام - ومادة الإخلاص متوفرة فيكم -، ولو كان لدينا ولدى المسؤولين، لمنيت جميع مؤامرات العدو اليوم بالفشل. السلاح الّذي يعجز عن مواجهته أي عدو مادي، هو سلاح الإيمان الخالص والعمل المخلص. الإخلاص

معناه - باختصار - أن يُؤدّي المرء العمل للّه وحبًّا بأداء الواجب، وأن لا يعمل من أجل أهوائه النفسيّة ولكسب المال والمنال والثروة والجاه وحُكم التاريخ، وما شابه ذلك من الحوافز النفسيّة المنبعثة من الرغبة في إشباع صفات ذميمة كالحسد والحرص والطمع، بل أن يكون دافع العمل للّه ولأداء الواجب. هذا هو معنى الإخلاص.

عملٌ كهذا يكلّل بالنجاح، ويكون قاطعًا كحد الحسام يزيح من طريقه كل المعوّقات. كان الإمام مجهزًا بهذا السلاح، وقد صرّح مرارًا عديدة أنّه لا يتغاضى عن أقرب المقربين إليه فيما لو خطا خطوة واحدة مخالفة للحق. وهكذا كان حقًّا؛ إذ برهن في المواقف الحساسة أنّ الشيء المهم بالنسبة له هو أداء الواجب، وهو ما أثبته في العلن وفي الخفاء في كبير الأعمال وفي صغيرها. حتّى غدا سلوك الإمام هذا درسًا لتلاميذه ومريديه وأبنائه، فحققوا بهذا السلاح تلك المعاجز في الجبهات أيام الحرب، ولا ريب في أنّ بعضكم كان في تلك الميادين وشهد تلك المواقف عن كثب، وسمعتم ببعضها الآخر. ونحن اليوم بحاجة إلى ذلك السلاح بالذات[1].

فسرُّ نجاح الإمام قدس سره ينشأ في الدرجة الأولى من إخلاصه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2]، كان يعمل في سبيل الله ومن أجله فقط لا

(1) المناسبة: أسبوع التعبئة، الزمان: 25 رجب 1418 هـ.

(2) سورة البينة، الآية 5.

غير، ومن هنا فلو أنّ الدنيا بأسرها تكالبت عليه فلن ينشد غير رضا الله سبحانه[1].

وسرّ النفوذ العجيب لهذا الرجل العظيم ودخوله إلى قلوب الجماهير المسلمة الهائلة في شتى بلدان العالم هو نكران الذات، وتجاهل المصلحة الشخصيّة، والنظر إلى الله، والاستلهام منه، والعمل في سبيله ولَهُ بكل معنى الكلمة. فهذا هو سرّ عظمة الإمام الكبير وزعامته الروحية[2].

والباري تعالى منح إمامنا الخمينيّ منزلة رفيعة ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[3]، وصانه وحفظه وخلّده بالرغم من كل القوى الماديّة والاستكباريّة في العالم الّتي كانت تكيد له المكائد وتسعى للقضاء عليه ومحو ذكره والحطّ من شأنه. ويكمن سبب ذلك في تحلّي الإمام بتلك الخصال الثلاث؛ فهو

أولاً: كان مخلصًا لا يبغي شيئًا لذاته.

ثانيًا: على ثقة بربّه وعلى يقين بأنّ غايته ستتحقق. وكان أيضًا على ثقة بعباد اللّه.

ثالثًا: الحرص على عدم تفويت الفرصة ومسارعته في اللحظة المناسبة إلى القيام بالفعل اللازم والكلام اللازم والموقف اللازم.

---

(1) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الثامنة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 18 جمادي الأولى 1428 هـ.

(3) سورة مريم، الآية 57.

وخلاصة القول هي أنّ نهضة الإمام اتخذت هذا الطابع العميق بسبب توفر هذه العناصر الثلاثة فيها، وهي: الإخلاص، والثقة باللّه، واستغلال الفرصة واقتناصها[1].

الإيمان والعمل الصالح وتزكية النفس

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[2] بالرّغم مِمّا قاله الخطباء وكتبه الكتّاب وأنشده الشعراء عن الإمام الراحل قدس سره إلاّ أنّني قمت بتطبيق مضمون الآية الكريمة الواردة في سورة طه على شخصيّة إمامنا العظيم؛ لأنّ هناك ثلاث خصوصيّات بارزة في حياة الإمام قدس سره وردت في تلك الآية الكريمة.

فالخصوصيّة الأولى هي الإيمان، والخصوصيّة الثانية هي العمل الصالح، وفي آخر الدعاء الوارد في الآية الكريمة ذكرت صفة ثالثة هي صفة تزكية النفس وتهذيبها.

وقد وعد القرآن الكريم أولئك الّذين يمتلكون تلك السجايا الحميدة بمنحهم الدرجات العُليا.

وهذه الخصوصيّات الثلاث كانت تُشكّل معالم بارزة في حياة

(1) المناسبة: ولادة الإمام الحسين عليه السلام، ويوم حرس الثورة الإسلاميّة، وأسبوع التعبئة، الزمان: 3 شعبان 1419 هـ.

(2) سورة طه، الآيتان 75-76.

إمامنا قدس سره. فقد كان إيمان ذلك الرجل العظيم استثنائيًّا ونموذجيًّا فريدًا من نوعه. أمّا عمله الصالح [تشكيل الجمهوريّة الإسلامية] فقد كان من العظمة بمكان بحيث لم يتسنَّ لأحد القيام بمثله بعد صدر الإسلام وحتّى اليوم. وأمّا تزكية وتهذيب النفس فقد بلغت عنده مستوى بحيث كان وهو في ذروة اقتداره وشهرته ومحبوبيّته قد اختار لنفسه أن يكون في أوْج العبوديّة للّه سبحانه وتعالى. وما تشاهدونه اليوم من المكانة الرفيعة التي يحظى بها إمامنا الراحل في جميع أرجاء المعمورة مرده إلى تلك الخصال الثلاث الّتي كان يتمتّع بها قدس سره.

فأينما وُجِد الإنصاف ذُكرت بإكبار وإجلال مكانة الإمام الراحل، وأينما وُجِد عشق للعدالة تألّقت شخصيّة الإمام بأجمل صورها. وفي أيّ مكان يُراد الحطّ فيه من شخصيّة الإمام فهو مكان بعيد عن الحقّ والعدل والانصاف ويُعشش فيه الفساد وطلب المصالح الدنيويّة[1].

إنّ إمامنا العظيم يبدو وكأنّه يُصبح أكثر حياة يومًا بعد آخر، كما يغدو أكثر شهرة وبروزًا ويصير فكره ونهجه أشدّ فَهْمًا ووضوحًا في مجتمعنا وفي الأجواء الدوليّة الإسلاميّة. فما الّذي يقف وراء هذه الديمومة وهذه الاستقامة وتلك البركات؟ إنّه الإيمان الخالص والعمل الصادق.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 24 ذي الحجة 1414 هـ

لقد كان إمامنا العظيم مصداقًا لهذه الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[1]. فقد كان هدفه إلهيًّا، وكان سلوكه إيمانيًّا، وكان عمله عملًا صالحًا. وهذا هو الّذي يبقى لمثل هذه الشخصيّة العظيمة بلا مراء، كمثل سلسلة الأنبياء والأولياء الإلهيين الّذين رحلوا عنّا، سوى أنّ حقيقتهم وهويتهم ظلّت حيّة خالدة.

لقد مضى أعداؤه وخصماؤه في الدين والسياسة وذهبوا بلا رجعة، ولكن الإمام العظيم سيبقى خالدًا في المجتمع الإسلاميّ والمجتمع البشريّ الكبير؛ بفضل فكرهِ وشخصيّتهِ ووجودهِ الحقيقيّ، بل إنّه سيزداد تألّقًا وقوةً وتجسّدًا بمرور الأيام[2].

الثقة بالله

إنَّ العامل الأساسيّ لسمو إمامنا العظيم ونجاحه هو أنّه آمَنَ من أعماق كيانه وقلبه بمبدأ وحقيقة قرآنيّة، وسعى لتحقيقها بكل ما يمتلك من قوّة.

هذا المبدأ والحقيقة القرآنيّة، هو ما جاء في قوله تعالى ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3]، والّذي جاء مثله في آيات كثيرة

(1) سورة مريم، الآية 96.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة السابعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 7 جمادي الأولى 1427 هـ.

(3) سورة محمّد، الآية 7.

أكّدت على ذلك أيضًا، فمن ينصر الله ينصره الله، ومن يخطُ خطوة في سبيل الله، يُضاعفها إلى عشرات ومئات الخطوات نحو الأمام. هذه هي إحدى الحقائق والقوانين الإلهيّة، وهي: أنَّ نُصرة الله تعالى تعني نصرة الدين.

إنَّ الدين ليس أحكام الطهارة والنجاسة وحسب، وليس الأعمال الدينيّة الظاهريّة فقط، بل **إنَّ الدين هو برنامج لسعادة الناس في الدنيا والآخرة**، وكما أنَّ هذا البرنامج هو وسيلة لضمان النمو والتسامي المعنويّ للمجتمعات الإنسانيّة، هو وسيلة لضمان إحياء قابليّات الناس الفكريّة وتنمية شخصيّاتهم واستعداداتهم كذلك.

وكما أنَّ الدين يهتم بالمعنويّات، فإنَّه يهتم بالحياة الدنيويّة للإنسان أيضًا، ويمتلك برنامجًا لسعادته.

إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يُبيّن في نهج البلاغة الهدف من بعثة نبيّ الإسلام الأكرم قائلًا: «**ليثيروا لهم دفائن العقول**»؛ أي ليستخرجوا الكنوز العقليّة المدفونة في أعماق الناس، لتفعيلها في ميدان العمل. وكذلك نقرأ في زيارة الأربعين لسيد الشهداء عليه السلام: «**ليستنقذ عباده من الجهالة وحيرة الضلالة**». لقد كان هدف النهضة الحسينيّة: إزالة غيوم الجهل والغفلة عن أفق حياة الإنسانيّة، والبعث على صحوتهم وإيصالهم إلى طريق الهداية الحقيقيّ.

إنَّ معنى نصرة الله تعالى - في الحقيقة - هي أن نخطو خطوة

لإحياء السنّة الإلهيّة، والتأثير في الكون والمجتمع، وفي إيقاظ الفطرة، والسعي من أجل نجاة الإنسان من التعاسة والشقاء.

إنَّ الإمام وظّف هذه الحقيقة القرآنيّة؛ ونصر الله، ونهض وأقدم على نجاة وحريّة شعبه، وقد نصره الله تعالى أيضًا وبارك في نهضته، فعوّضه بدل الخطوة مئات الخطوات.

لقد قام الإمام لله، ودخل الميدان بكل وجوده، ووجّه الشعب نحو العمل بندائه، وسعيه، وجهاده، من أجل هذه الخطوة، وهذا العزم الراسخ.

قام الله تعالى بتحقيق ملايين العوامل والأسباب لهذه الحركة، فإنَّ ما تحقق كان يشبه المعجزة؛ أي تأسيس نظام إسلامي في منطقة حسّاسة. ولقد تحقّق ذلك نتيجة لحركة الإمام، على خلاف أهداف العدو وعداء أصحاب القدرة في جميع أنحاء العالم[1].

كان الإمام يضع الحسابات المعنويّة في الدرجة الأولى من الأهميّة في قراراته وتدابيره. بأيّ معنى؟ بمعنى أنّ الإنسان في أي عمل يُريد ممارسته يجب أن يكون هدفه بالدرجة الأولى اكتساب رضا الله. فلا يكون هدفه مثلًا الانتصار، أو تولّي السلطة، أو اكتساب الوجاهة عند زيد وعمرو.

ينبغي أن يكون الهدف الأول إحراز رضا الله. هذا أولًا وثانيًا

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السابعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 7 جمادي الأولى 1427 هـ.

يجب أن يثق ويطمئن للوعود الإلهيّة. إذا كان هدف الإنسان رضا الله ووثق بوعوده واعتمد عليها، عندئذٍ لن يكون لليأس معنى، ولا للخوف معنى، ولا للغفلة معنى، ولا للغرور معنى.

حينما كان الإمام لوحده لم يعترهِ الخوف ولا اليأس، ويوم راح الشعب الإيراني كلّه ينادي ويهتف باسمه، بل وعشقته سائر الشعوب وأبدت حبها له، لم يصب بالغرور. يوم سقطت مدينة خرمشهر بيد المعتدين العراقيين لم يقنط الإمام، ويوم استردّ جنودنا هذه المدينة بتضحياتهم وبسالتهم لم يُصب الإمام بالغرور، وقال: «**الله هو الّذي حرّر خرمشهر**».. أي إنّنا لا دور لنا. في جميع الأحداث المتنوعة خلال فترة زعامة هذا الرجل الكبير كان على هذه الشاكلة والطريقة. لم يفزع يوم كان لوحده، ولم يغترّ ولم يغفل يوم انتصر وكانت له السلطة والقدرة. هذه هي الثقة بالله. هكذا ستكون القضيّة إذا كان الهدف رضا الله.

يجب الاعتماد على الوعد الإلهيّ. يقول الله تعالى في سورة الفتح ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[1]. من خصوصيّات المنافق والمشرك أنّهما يُسيئان الظن بالله، ولا يثقان ولا يؤمنان بالوعود الإلهيّة. حينما يقول الله ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[2]، فإنّ المؤمن يتقبّل

(1) سورة الفتح، الآية 6.

(2) سورة الحج، الآية 40.

هذا القول من أعماق وجوده وكيانه، أمّا المنافق فلا يتقبله. يقول الله ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1]. هذا هو حال الّذين يُسيئون الظن بالله.

كان الإمام مطمئن النفس للوعد الإلهيّ. إنّنا نُجاهد لله ونسير خطواتنا لله، ونبذل كل جهودنا ومساعينا في الساحة وسوف يُحقق الله تعالى لنا النتائج كما وعدنا. إنّنا نعمل بدافع التكليف، لكن الله تعالى يمنحنا أفضل النتائج على عملنا بالواجب والتكليف. **هذه من خصائص منهج الإمام وخطه. وهذا هو طريق الثورة وصراطها المستقيم**[2].

من ذكريات الأيّام الأولى للحرب؛ حينما جاءني أحد العسكريين وقدّم لي قائمة تتضمن ذكر أنواع الطائرات الحربيّة وطائرات النقل الّتي ستفقد قدرتها على العمل في غضون الأيّام القادمة؛ وأنّ الطائرات من كذا نوع ستُصبح غير صالحة للطيران بعد ثمانية أيّام، والأخرى بعد عشرة أيّام، وهكذا، وكان قد قَدّم لي تلك القائمة لأقدّمها لسماحة الإمام ليطلعَ عليها وليكونَ على بيّنة مِمّا هو موجود لدينا[3].

أجاب الإمام: «ماهذا الكلام؟ قولوا لهم فليقاتلوا وليبادروا والله سوف يمدّهم بعونه ولن تحدث مشكلة».

---

(1) سورة الفتح، الآية 6.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

(3) المناسبة: ذكرى مبايعة عناصر من القوّة الجويّة للامام الراحل قدس سره، 22 شوال 1419 هـ

أنا لم أقتنع منطقيًّا بكلام الإمام لأنّه لم يكن متخصصًا بشؤون الطائرات، ولكنّي كُنت مؤمنًا بأحقيّة الإمام ونور قلبه وحماية الله له؛ لذلك لن يتركَه وقد أراده لأمرٍ عظيم، لذلك اطمأنّ قلبي وسلّمتُ بقوله؛ وعدتُ إلى الأخوة بعد يومٍ وقلتُ لهم يقول الإمام: **أعدّوا هذا الموجود لديكم ما أمكنكم ذلك وبادروا للعمل**[1].

والحال أنّ تلك الطائرات الّتي قالوا إنّها ستتوقّف عن العمل تمامًا بعد ثلاثين أو واحد وثلاثين يومًا، **ما زالت تعمل حتّى يومِنا هذا**، فقد مضى على ذلك اليوم ثلاثون عامًا ونيّف، وقد شمّر شبابنا في القوّة الجويّة وقواتنا الفنيّة عن ساعد الجدّ والهمّة، ونزلوا إلى الساحة ووظّفوا أناملهم الصانعة للمعجزات، واستثمروا أذهانهم وأفكارهم الوقّادة، وقاموا بما جعل هذه الطائرات - الّتي قالوا إنّها ستتوقف عن العمل - تعمل إلى آخر الحرب، بل وإلى يومنا هذا... وأولئك الإخوة الّذين قالوا لي بأنّ الأمر قد انتهى، كانوا متّسمين بالحُسن والصلاح - وقد استُشهد البعض منهم - بيد أنّ **فكرهم لم يكن فكرًا ثوريًا**، وكان تفكيرهم على نسق ما قبل الثورة، وكانوا ينظرون بتلك الرؤية[2].

(1) من سلسلة أقراص العبد الصالح (7)، خواطر يرويها القائد عن الامام - صادر عن مركز المعارف الرقميّة.
(2) المناسبة: لقاء في الملتقى الوطني التاسع لـ «نُخب الغد»، الزمان: 14 تشرين أول 2015.

التوكّل

كان الإمام قدس سره طوال حياته المباركة، سواء في ميدان العلم والتدريس، أم في مرحلة النضال العصيبة، أم في ميدان الإدارة والحكم - عندما كان على رأس السلطة وممسكًا بزمام المجتمع - في كل هذا كان مصداقًا لهذه الآية ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾[1]. ولهذا غدت الأمور والأعمال الكبيرة، الّتي كان الجميع يقولون عنها إنّها مستحيلة، ممكنة مع بزوغ شمس الإمام، وتحطّمت بحضور الإمام جميع السدود الّتي قيل إنّها لا تتحطّم. ففضلًا عن أنّه كان نفسه مظهر عزّة النفس والقوّة المعنويّة، فقد نفخ روح العزة في الشعب أيضًا. هذا، كان هو الإنجاز الكبير للإمام الجليل[2].

يعود نجاح الإمام قدس سره إلى توكّله على الله وحسن ظنّه به، ومن هنا فإنّ كل عمل لا يخرج في رأيه عن قدرة الله، فالأعمال الكبرى والحركات العظمى واقتلاع الجبال الراسيات كان برأيه أمرًا ممكنًا؛ ذلك أنّه يعتقد بقدرة الله المطلقة، كان يتوكل على الله وحده، مستمدًا العون منه ويحسن الظن به.

يوم بدأ نهضته كان الّذين يعتقدون بإمكانيّة قيام مثل هذه النهضة، قليلين جدًّا، ويوم رفع شعاره لإسقاط نظام الشاه كان الّذين يظنون إمكانيّة ذلك يعدّون بالأصابع.

---

(1) سورة الشعراء، 217.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الثالثة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 3 حزيران 2012 م.

ويوم أعلن سياسة «لا شرقية ولا غربية»، كان الّذين يُفكّرون بإمكانيّة ذلك كانوا نوادر.

ويوم هتف قائلًا: إنّ أمريكا لا تستطيع أن ترتكب أيّة حماقة، كان الّذين يؤمنون بعجز أمريكا عن ارتكاب حماقة ما، نفرًا يسيرًا.

لقد قام بكل هذه الأعمال الكبرى لأنّه كان متوكلًا على الله، مؤمنًا بأنّ الله على كل شيء قدير، وبالطبع كان يُؤمن بأنّ نجاحه ليس هو الهدف ولا الغاية، كان يقول: «إنّني أؤدّي واجبي». وكان انتصاره في مجرد قيامه بالواجب. في رأي الإمام لا يعني النصر تحقيق هدف ما، فالنصر في رأيه أن يقوم الإنسان بواجبه. بهذه الروحيّة وهذه المشاعر وهذه البواعث كان الإمام يمضي قدمًا في طريقه[1].

التقوى

إنّ الصفة البارزة الّتي كان يتّصف بها إمامنا الكبير هي التزامه التقوى. وعليكم جميعًا أن تجعلوا من التقوى دستورًا لحياتكم؛ لكي تتفتح لنا أبواب رحمة الله، كما تفتّحت لذلك الرجل العظيم.

فالتقوى تجلب الرحمة والهداية الربّانية للشخص المتّقي وللمجتمع المتّقي. وقد كان الدستور الأوّل والآخر للأنبياء والأوصياء هو التقوى[2].

(1) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.
(2) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

وما يُلاحظ على هذا الصعيد مراعاة الإمام العجيبة للتقوى في كل الأحوال والأمور. التقوى في الشؤون الشخصيّة شيء، وفي الشؤون الاجتماعيّة والسياسيّة والقضايا العامّة شيء آخر أصعب وأهم وأكثر تأثيرًا وخطورة بدرجات ودرجات. ما الّذي نقوله لأصدقائنا ولأعدائنا؟ هنا تترك التقوى أثرها. قد نُخالف شخصًا وقد نُعاديه، فكيف نحكم عليه؟ إذا كان حكمكم على الشخص الّذي تخالفونه أو تعادونه حكمًا غير واقعي، فهذا تجاوز لجادة التقوى. والآية الكريمة [تقول] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1]، القول السديد هو القول المتين الصحيح الصائب. يجب أن نتكلم هكذا.

أريد أن أقول لشبابنا الأعزاء، الشباب الثوري المؤمن العاشق للإمام أن يُراعوا التقوى مراعاة تامّة حينما يتحدثون ويكتبون ويبادرون ويعملون. مخالفتنا لشخص يجب أن لا تدفعنا للخروج عن جادة الحق وممارسة الظلم فيما يخص ذلك الشخص، كلا، يجب عدم ارتكاب الظلم. وينبغي عدم ممارسة الظلم ضد أيٍّ كان.

أروي لكم خاطرة عن الإمام الخمينيّ، ذات ليلة كنت عند الإمام وسألته ما هو رأيكم في فلان - ولا أريد ذكر اسمه، وقد كان من الوجوه المعروفة في العالم الإسلاميّ خلال الفترة القريبة منّا، والكل سمع باسمه والكل يعرفه - تريّث الإمام قليلًا ثُمّ قال: لا أعرف. ثم ذكر عبارة في ذمّ ذلك الشخص. انتهى الأمر عند هذا الحد.

(1) سورة الأحزاب، الآية 70.

ولكن في اليوم التالي أو الّذي بعده - لا أتذكر تحديدًا - كان لي شأن وعمل مع الإمام صباحًا فذهبت إليه. وبمجرد أن دخلت الغرفة وجلست وقبل أن أطرح الأمر الّذي كنت أريد طرحه، قال لي: بخصوص ذلك الشخص الّذي سألتني عنه ليلة البارحة أو قبلها، الجواب هو: «لا أعرف». أي أنّه محا تلك العبارة الّتي قالها في مذمّة ذلك الشخص بعد قوله «لا أعرف».

لاحظوا، هذا شيء مهم جدًّا. لم تكن عبارة الذمّ تلك فحشًا من القول ولا بذاءة ولا تهمة، ولحسن الحظ فقد نسيتها تمامًا، ومردّ ذلك إمّا إلى تصرفه المعنويّ أو إلى قلّة ذاكرتي، لا أدري ما كانت تلك العبارة لكنّني أتذكّر أنّها كانت عبارة ذمّ. قالها في تلك الليلة، وبعد يومين أو يوم واحد محاها وقال: لا، لا أعرف.. لاحظوا.. هذه أسوة. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

حول زيد من الناس الّذي تُخالفونه يُمكن التحدث بطريقتين: أولًا بطريقة متطابقة تمامًا مع الحق، والطريقة الثانية هي خليط من الحق والظلم. وهذه الطريقة الثانية سيئة وينبغي اجتنابها. قولوا الصدق والحق وما تستطيعون إيضاحه والدفاع عنه في محكمة العدل الإلهيّ، وليس أكثر. هذه من الخطوط الأصليّة لحركة الإمام وخط الإمام، والّتي يجب أن نتذكرها ولا ننساها[2].

(1) سورة الأحزاب، الآية 21.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

كل هذه الصفات اكتسبها الإمام من جرّاء التقوى والتمسّك بالدين، والامتثال لأمر الله. وقد بيّن شخصيًّا هذا المعنى بين طيّات كلامه، ملوّحًا إلى أنّ كل ما موجود إنّما هو مِنْ الله، وكنتيجة للذوبان في الإرادة الإلهيّة، وأنّ الله هو الّذي نصر الثورة، وهو الّذي حرّر خرمشهر، وهو الّذي ألّف بين قلوب أبناء الشعب؛ فكان ينظر إلى كل شيء من وجهة نظر إلهيّة، وفي مقابل ذلك فتح الله أمامه أبواب رحمته[1].

البصيرة

إنّ البصيرة والصبر كانا عاملي نجاح إمامنا الكبير وشعبنا الشجاع - مقاومة مصحوبة بالبصيرة -، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا يحمل هذا العلم إلا أهلُ البصر والصّبر»، وسبب ذلك هو أنّ النضال اليوم ليس ضد الكفر المحض والشرك المحض فيُصبح الموضوع واضحًا، ويكون الاصطفاف واضحًا والمواقف منفصلة، بل هو مكافحة النفاق والخداع والشعارات الفارغة والكذب والتفاخر الّذي يعلو من مكبرات صوت الاستكبار في جميع أنحاء العالم. كثيرون تحدّثوا بأنّهم من مؤيدي حقوق الإنسان وكانوا كاذبين، كثيرون تحدثوا بأنّهم من مؤيدي الإسلام وكذبوا. إنّ إسلام هؤلاء إسلام يتلاءم مع رغبة زعماء الاستكبار. كثيرون كانوا يتحدثون عن

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

المساواة بين الناس، وكذبوا ويكذبون. لذلك فإنّ النضال في الفترة الراهنة نضال صعب، بسبب هيمنة الاستكبار من حيث الماديّات والغطرسة، وهكذا بسبب قوة الدعاية وتبرير الأكاذيب ونفاق الاستكبار وأياديه[1].

فلقد كان للإمام خصوصيتان، نابعتان من نورانيّته هما: تشخيصه الأعداء وتشخيصه الأصدقاء، حتّى أنّه لم يُخطئ في ذلك أبدًا؛ عرف أعداءه منذ البداية وأعلن مواجهته لهم، وعرف أصدقاءه وأعلن تضامنه معهم[2].

الصبر واليقين

كان إمامنا العظيم مصداقًا للآية القرآنيّة في سورة السجدة المباركة الّتي يُبيّن الله تعالى فيها أحوال الشعوب والأمم المناضلة ويصف القادة المجاهدين المؤمنين، يقول عزّ من قائل ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[3]، حيث تشير هذه الآية المباركة إلى أنّ الله تعالى قد أوكل أمر هداية الطوائف الإنسانيّة لأولئك الّذين يتمتعون بخصوصيتين أساسيتين هما: الصبر، واليقين ﴿ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

---

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 ذي القعدة 1411 هـ.

(2) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

(3) سورة السجدة، الآية 24.

فاليقين هو ذلك الإيمان الواعي والبصير الّذي يحول دون تسرّب الوساوس إلى قلب الإنسان وإصابته بالخور والضعف، وأمّا الصبر فهو تلك الخصوصيّة الّتي تجعل قلب الإنسان العظيم قادرًا على تحمّل المشاكل ومواجهتها، وعدم الضياع وفقدان الذات والعزم، والسير قُدُمًا بصلابة وثبات في سبيل الأهداف الطموحة الّتي اختارها بوعي، وكان على بصيرة من أمره.

فكل الأنبياء والمصلحين وجميع الّذين استطاعوا أن يخلّفوا وراءهم أثرًا خالدًا ومؤثرًا على مسيرة التاريخ البشري كانوا يتمتعون بهاتين الخصوصيتين، وكان إمامنا الراحل الّذي بعث روح الإسلام من جديد في حياة شعبنا وأمتنا الإسلاميّة يتّصف بهاتين الخصوصيتين.

واليوم - وبعد مرور أربعين عامًا على حادثة الخامس عشر من شهر خرداد (الخامس من حزيران) - فإنكم تجدون أنّ نهضة الإمام المظلومة قد عمّت كافة بقاع العالم الإسلاميّ.

ففي مدينتي طهران وقم، وذات يوم كغيره من سائر أيام الله المجيدة، كان هناك من المظلومين من ضحّوا بأنفسهم والتحقوا بقافلة الشهداء دون جريرة سوى أنّهم ساروا على خطى الإمام العظيم، ونادوا باسم الإسلام، وعارضوا بسط الأجانب لنفوذهم على هذا البلد واستثمار موارده ومقدّراته.

إنّ كل من عاينوا هذا المشهد في ذلك اليوم ربّما يكونون قد توهّموا أن كل شيء قد انتهى، وأنّ تلك الصيحة قد أخمدت.

فلقد اعتقلوا الإمام بعنف ووحشيّة، واختطفوه من منزله، وقمعوا الجماهير بكل بطش وشدة، ولكن هذا الفكر مضى إلى الأمام مستلهمًا روحه من تلك القاعدة الإلهيّة العظيمة، أي الصبر الممتزج باليقين.

لقد جاهد الإمام طوال خمسة عشر عامًا واستطاع أن يقود الشعب الإيراني بأكمله إلى ساحة المواجهة ضد الاستبداد الداخلي والاستكبار العالمي؛ بفضل ما كان يتمتع به من إيمان عميق، فكان النصر أكيدًا في كل معركة خاضها الشعب[1].

التواضع

في أحد اللقاءات الخاصّة كنّا جالسين ليلًا مع بعض الأصدقاء في دار المرحوم السيّد أحمد الخمينيّ، وكان سماحة الإمام موجودًا أيضًا، فبادر أحدنا بالقول: سيّدنا، إنّ لكم مكانة معنويّة وعرفانيّة رفيعة، فيا حبّذا لو قدّمتم لنا بعض النصائح والإرشادات.

لقد كان لهذا الثناء المقتضب من ذلك التلميذ إزاء أستاذه - حيث كنّا جميعًا نتصرّف إزاءه كتلاميذ أمام أستاذهم وكأبناء إزاء أبيهم - وقعًا مؤثّرًا، انعكس على شكل حياء وتواضع ظهر على محياه وعلى سلوكه وعلى كيفيّة جلسته. شعرنا بالإحراج من هذا الكلام الّذي تسبّب في استحياء الإمام.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الرابعة عشر لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 3 ربيع الثاني 1424 هـ.

كان لهذا الرجل الشجاع، وبما يملكه من طاقة هائلة، مثل هذا التواضع والحياء في مثل هذه المواقف العاطفية والمعنويّة[1].

الرحمة والصلابة

كانت حياة الإنسان عزيزة على الإمام، فهو يبكي أحيانًا على الإنسان الّذي يُعاني ويتألّم، وأحيانًا تترقرق الدموع في عينيه. وهذا ما شاهدناه مرّات ومرّات. فقد كان إنسانًا رحيمًا وعطوفًا، وكان قلبه طافحًا بالإنسانيّة والمحبّة. لكن هذا القلب الطافح بالمحبّة لم يرتعش يومًا أمام التهديد ولم يَزِل ولم يتراجع ولم يتنازل.

طوال مدّة العشر سنوات هذه أدرك أعداء الثورة بأجمعهم ولمسوا بالتجربة أنّ الإمام لا يُمكن إرعابه. وإنّها لنعمة كبرى بأن يشعر العدو بأنَّ هذا الرجل لا يُمكن إزاحته من الساحة بالخوف والتهديد. وقد أدرك الجميع من خلال الشخصيّة الألمعيّة الّتي كان يتحلّى بها الإمام أنّه رجل لا يُمكن إخراجه من الساحة، ولا يُمكن تهديده بالضغوط، والتهديد العمليّ أيضًا لا يُجدي نفعًا في ثنيه عن منهجه؛ لذلك اضطروا لمجاراته[2].

هذا الشخص الّذي بثّ الرعب في أوصال أعداء الشعب الإيراني، وهذا السدّ المنيع والجبل الشامخ، حينما تعرض له مواقف

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة السابعة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 16 محرم 1417 هـ

عاطفيّة وإنسانيّة تراه إنسانًا رقيقًا ورؤوفًا. وسبق لي أن نقلت موقفًا عرض لي في إحدى جولاتي، وهو: أنّ امرأة تقدّمت إليّ وقالت: أبلغ الإمام نيابة عنّي أنّ ابني أُسر في الحرب، وقد وصلني في الآونة الأخيرة خبر استشهاده، إلاّ أنّ استشهاد ابني ليس مهمًّا عندي وإنّما المهم هو سلامتكم.

لقد تحدّثت إليّ تلك المرأة بمشاعر جيّاشة. وعندما جئتُ إلى الإمام ودخلت عليه وجدته واقفًا، ونقلت له ذلك الموقف، فرأيت ذلك الجبل الراسخ انحنى بغتّة كشجرة باسقة هوت بها الريح، وغاص مستغرقًا في ذاته، متأثّرًا روحيًّا وجسديًّا بما نقلته له من كلام أمّ الشهيد، واغرورقت عيناه بالدموع[1].

روح الشباب

كان الإمام الخمينيّ قدس سره مثابرًا على العمل دؤوبًا لا يعرف الكلل. ولا بأس أن تستذكروا أنّ الإمام الخمينيّ بدأ نهضته وهو في سن الثالثة والستّين. ولا زلت أتذكر أنّه قال في تصريحه الّذي ألقاه في عام 1341هـ ش، [1962م] إنّني الآن في الثالثة والستين من عمري، ولو أنّهم قتلوني أكون قد قُتلت في نفس السن الّتي رحل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام من الدنيا. فمع أنّه كان في الثالثة والستين من عمره إلاّ أنّه كان يبعث في نفوس الشباب

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

الدفء والحيوية والنشاط. وحينما عاد الإمام إلى الوطن في الثاني عشر من بهمن وما تلا ذلك من وقائع انتصار الثورة، كان عندها في الثمانين من عمره. لاحظوا كيف نزل هذا الرجل المسنّ إلى ساحة الصراع بنشاط الشباب، في حين كان في سنّ التعب والكهولة والتقاعد[1].

قائد الأُمّة ورائد الثورة [الإمام الخمينيّ] كان في الثمانين من عمره لكنّه تحمّل أعباء أصعب الأعمال في العالم. ففي اليوم الّذي رجع فيه الإمام إلى إيران كان عمره حوالي ثمانين سنة ولم يقل إنّي كبير ومتعب.

ففي أحد الأيام من سنة تسع وخمسين [1980م] عندما رجعتُ من الأهواز إلى طهران ذهبت إلى الإمام وطرحتُ موضوعًا بشكل عتاب، فقال أَخبر الأشخاص - الّذين يعتقد الإمام بضرورة حضورهم - لحضور الجلسة، وفعلًا انعقدت الجلسة وسط النهار وبدون أيّ إعداد وتهيئة مسبقة وأُديرت الجلسة من قبل هذا الرجل المسن المظهر، اليافع القلب المليء بالحيويّة والنشاط دون إظهار التعب، **فالعمل لله لا يقبل التعب.**

في إحدى المرات عندما تسلّل خطأً أحد تعيسي الحظ إلى صفوف المؤمنين، وقال شيئًا، أجابه سماحته قائلًا: «**إذا لم يُعجبك العمل تنحَّ عنه وأنا أقوم بالأعمال وأرفع الأحمال على عاتقي**».

(1) المناسبة: اليوم الثاني من عشرة الفجر المباركة، الزمان: 17 شوال 1417 هـ.

فلم يكن أحد يُصدّق أنّ الإمام سيدخل المعترك بهذا المستوى من الحيويّة والنشاط. إنّ قوة الإيمان الّتي يمتلكها الإمام هي الّتي سهّلت له إنجاز الأعمال، فقد كانت قوّة إيمان الإمام في حدّها الأعلى قياسًا بالميادين الّتي كنّا نخوضها. ونحن لا نتوقع من أي شخص هذا المستوى من الإيمان، ولكن نريد أن نُبيّن لكم المثل الأعلى[1].

الهمّة العالية

إنّ همةّ الإمام - الّذي كان قائد هذه الثورة، والممسك بزمام هذه الثورة، وزعيمها - هي الّتي أحيت روح العزّة الوطنيّة في هذا الشعب، وأعادت له عزّته. إنّ الإمام الجليل لقّن الناس ثقافة «نحن نستطيع»، وثبّتها في قلوبهم، وهذه هي أيضًا الثقافة القرآنيّة الّتي تقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]. إنّ الإيمان يعني العلوّ. إنّ الإيمان وسيلة للعلوّ المادّي، ولكنّه لا ينحصر بهذا، فالإيمان منشأ العلوّ، والعزّة، ورشد الشعوب. تقدَّم الإمام بنفسه إلى الأمام وقاد، وعندها استثار الدوافع في الناس، وتفتحت الهمم والاستعدادات، وهنا صار عمل الناس وحضورهم في الساحات سببًا لاستجلاب الرحمة الإلهيّة. هذه نقطة عظيمة

(1) الحضور: مسؤولو الجيش وحرس الثورة، الزمان: 01 جمادى الأولى 1416 هـ.
(2) سورة آل عمران، الآية 139.

جدًّا. إنّ رحمة الله واسعة، ولكن ما لم يهيّئ الإنسان وعاءه فإنّ أمطار الرحمة لن تنزل. لقد نزل شعبنا إلى الساحة، وجعل نفسه وسط الميادين، فصار ذلك محلًا للرحمة والهداية الإلهيّة، فشملته الهداية الإلهيّة، وكذلك الرحمة، وشرع بحركة لا تعرف التوقّف، الحركة نحو العزة والتقدّم وصناعة العزّة. وبالطبع فقد كانت هذه الحركة سريعة أحيانًا وبطيئة أحيانًا أخرى، لكنّها لم تتوقف ولم تتعطل[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثالثة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 3 حزيران 2012 م.

هو الّذي حطّم الأصنام وبدّد أحلام الشرك، وعلّم الجميع كيف يدرك الإنسان التكامل وكيف يعيش كعليّ عليه السلام، وكيف له أن يصل إلى حدود المثال والعصمة، وأنّ كل هذا ممكن وليس مجرّد أساطير.

عقائد الإمام الخميني قدس سره

تجلّت ثلاث عقائد في إمامنا العظيم، مَدَّتهُ بالقاطعيّة، وبالشجاعة والصمود: إيمانه بالله، إيمانه بالناس وإيمانه بذاته. وقد ظهرت العقائد الثلاث تلك بمعناها الحقيقيّ في وجود الإمام، وفي قرارات الإمام، وفي جميع حركات الإمام. كان الإمام يتحدّث إلى الناس من القلب إلى القلب، وكان الناس بدورهم، وبكلّ وجودهم، يقولون له: «لبيك»، فنزلوا إلى وسط الساح، وصمدوا بكلّ شهامة، وكانت الحركة الّتي لم يُنظر إليها بعين الرأفة، من أيّ بقعة من بقاع الدنيا، ولم تُمدّ لها أيّ يدٍ للمساعدة، تسير تدريجيًّا نحو الانتصار، ولقد انتصرت في النهاية.

سأبيّنُ قليلًا، العقائد الثلاث التي آمن بها الإمام، فهي أمور مهمّة، إن وَجَدت لها مكانًا في قلوبنا، فستنير درب مسيرتنا.

إيمانه بالله

كان الإمام مصداق الآية الشريفة ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[1]. ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. لقد أدّى الإمام

(1) سورة آل عمران، الآية: 173.

هذا الأمر بكلّ وجوده، وآمن به من كلّ قلبه. كان الإمام يثق بالله المتعال، ويُوقن بوعد الله، فكان يتحرّك، ويعمل ويتكلّم ويُقَدِّمُ في سبيل الله، ويعلم أن ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[1]. وعد الله لا بُدّ مفعول، وإنّ الله لا يُخلف الميعاد.

إيمانه بالناس

كان الإمام العظيم، يعرف الشّعب الإيرانيّ بكلّ ما للكلمة من معنى، عميق الإيمان، ذكيًّا وشجاعًا، وإذا ظَهَرَ بينهم قادة لائقون، فإنّ هذا الشعب سيتوهّج كالشمس في مختلف المجالات. لقد آمن الإمام بهذا.

وإذا ظَهَرَ في يوم ما رجل غير كُفء، كالشاه «سلطان حسين»، الّذي جعل الشّعب الإيرانيّ يتقوقع على ذاته، فسيظهر في يوم آخر رجلٌ شجاعٌ ك «نادر قُلي»[2] - بدون تلك الألقاب والعناوين - بين

(1) سورة محمد، الآية: 7.

(2) هو نادر شاه، ينتسب إلى قبيلة أفشار، كان يُطلق عليه بداية نادر قلي. عندما هاجم الأفغان والروس والعثمانيّون أطراف إيران أواخر العهد الصفويّ، توجّه نادر شاه مع عدد من الفرسان حيث التحموا مع طهماسب الصفويّ وتمكّنوا من إخماد الفتن الداخليّة وطردوا الأفغان. أصيب طهماسب بالحسد لما كان يتمتّع به نادر شاه من موقع بين الناس، لذلك جهّز جيشًا كبيرًا لمهاجمة العثمانيّين ممّا أدّى إلى مقتل آلاف الجنود الإيرانيّين وهرب هو من المعركة.
أمّا نادر شاه فجهّز جيشًا واتّجه نحو غرب إيران فدخل قلب الامبراطوريّة العثمانيّة فأضاف إلى إيران العديد من المدن. وقد وصل الأمر به إلى أن اتّجه نحو القوقاز الّتي كانت تحت سيطرة الروس.
وجّه تهديدًا إلى الهند ثلاث مرّات لتسليم 800 أفغانيّ شاركوا في قتل الإيرانيّين، ولمّا لم يستجب الهنود، دخل منطقة السند وأعدم 800 معتدٍ أفغاني. منح نادر شاه الحكومة للملك الهنديّ محمّد كوركاني معتبرًا أنّه لم يأتِ معتديًا، بل أتى لأنّه لا يتخلّى عن حقوق شعبه.
بقي نادر شاه مدّة 12 سنة في السلطة. قُتِل عام 1160هـ. على يدي بعض قادة جيشه.

أفراد الشعب، ويتولّى قيادتهم بكلّ شجاعة، عندها سيتمكّن هذا الشعب من توسيع ميادين فخره، من نيودلهي إلى البحر الأسود. لقد رأى الإمام هذا في التاريخ، وشهد نظائره، كما أنّه آمن بهذا الأمر. كان يعرف الشّعب الإيرانيّ، ويثق به. لقد جعل الإمام الخمينيّ إيمان هذا الشعب العميق والراسخ، الّذي كان مخفيًّا تحت طبقات طمع المتهافتين على الدنيا، يَتفتّح. وأثار حفيظة الناس الدينيّة، فأصبح الشّعب الإيرانيّ مِثالًا للاستقامة والبصيرة. كان الشعب في نظر الإمام، هو الأعزّ وعدوّ الشعب هو الأبغض. كما تلاحظون، فإنّ الإمام لم يقعد لحظة واحدة عن مقارعة المُتسلّطين، والسبب الرئيس، أنّ المُتسلّطين هم أعداء سعادة الناس، والإمام عدوٌّ لعدوّ الشعب.

الثقة بالنفس

لقد علّم الإمام الشّعب الإيرانيّ معنى «نحن قادرون». وقبل أن يُلقّن الإمام الشّعب الإيرانيّ ويعلّمهم «نحن قادرون»، كان قد أحياها في داخله، وقد أظهر وأبرز اعتقاده بقدراته الشخصيّة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة. في عاشوراء 1963م، هدّد الإمام - وعلى الرغم من غربته، وسط طلاب وأهالي قمّ في المدرسة الفيضيّة - «محمّد رضا شاه»، الّذي كان وبالاتكاء على أميركا والقوى الخارجيّة، يحكم البلاد بلا قيد أو شرط أو وازع، قائلًا إذا فعلت كذا، وإن أكملت

على هذا المنوال، فسأطلب من الشّعب الإيرانيّ أن يطردك من إيران. من الّذي قال هذا؟ قاله رجل دين، يعيش في «قمّ»، لا يملك السلاح، ولا العتاد، ولا المال، ولا الدعم الدوليّ. مستندًا فقط إلى إيمانه بالله وثقته بنفسه، على أنّه قادر على الصمود في هذه الساح. وفي ذلك اليوم الّذي عاد فيه الإمام من منفاه، هدّد حكومة «بختيار» في خطابه في جنّة الزهراء عليها السلام، وقال بالصوت الملآن: «سأصفع وجه حكومة بختيار»، و«سأعيّن الحكومة». هذه هي الثقة بالذات.

كان الإمام يؤمن بقوّته، وبقدراته. وهذا الإيمان بالذات الّذي تمثّل، في عمل الإمام، في كلام الإمام، قد انتقل إلى الشعب.

من أساليب الأعداء المؤثّرة، في السيطرة على الشعوب، تلقين «غير قادرين»، كي تيأس الشعوب، فيقولون «نحن غير قادرين». بهذه الخُدعة، تخلّف الشّعب الإيرانيّ لمئة عام في ميادين السياسة، والعلم، والاقتصاد، وجميع ميادين الحياة. قَلَبَ الإمام هذه الموازين، فنزع منهم أداة التسلُّط هذه، وقال للشّعب الإيرانيّ «أنتم قادرون». أعاد إلينا الشجاعة، القرار، والمنعة.

أعاد إلينا الثقة بالنفس، وشعرنا نحن الشّعب الإيرانيّ بأنّنا «قادرون»، فتحرّكنا وعملنا. لذا فاز الشّعب الإيرانيّ في كافّة الميادين خلال الأعوام المُنصرمة.

هذه العقائد الثلاث الّتي آمن بها الإمام - أي الإيمان بالله،

والإيمان بالشعب، والإيمان بالذات - قد أضحت محور جميع قراراته وأعماله، وجميع سياساته. لقد أعطى هذا الإيمان القُدرة للإمام خلال بدء النهضة، وفي فترة النفي، وأيضًا عندما توجّه إلى «باريس»، وعندما عاد إلى إيران. لقد أعطت هذه العقائد الثلاث للإمام القدرة على العودة إلى «طهران» في تلك الظروف، وأعطته القوّة في أحداث شباط 1979م، في الفتن الداخليّة، في إعلان الجمهوريّة الإسلاميّة، في الصمود العلنيّ في وجه النظام العالميّ الجائر، في إعلان «لا شرقيّة، ولا غربيّة»، في الحرب المفروضة، في جميع قضايا السنوات العشر المليئة بالأحداث من عمر الإمام. لقد تجلّت تلك العقائد الثلاث في الإمام. فكانت مصدر قراراته، وأعماله، وسياساته.

لم يلحظ أحدٌ في الإمام، وحتّى آخر أيّام حياته، أيّ أثرٍ للكآبة والتردّد، والتعب والإهمال والاستسلام. يُصاب الكثير من ثوّار العالم بالتردّد عندما يصلون إلى سنّ الكهولة والشيخوخة، وبالتحفظ على بعض الأمور، حتّى إنّهم يتراجعون عن كلامهم الرئيسيّ في بعض الأحيان. إلّا أنّ كلام الإمام، في سنوات عمره الأخيرة، كان أحيانًا أكثر ثوريّة من عام 1963م، وأشدّ وأقوى. كان يشيخ لكنّ قلبه ظلّ شابًّا، وروحه توّاقة. إنّها الاستقامة الّتي جاءت في القرآن الكريم ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[1] وفي

(1) سورة الجن، الآية: 16.

آية أخرى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1]. هذه العقائد الثلاث، أبقت الإمام حيًّا وشابًّا، وخلّدت فكر الإمام وطريق الإمام وطريقة الإمام عند هذا الشعب. ومن ثُمّ عمّت هذه العقائد الثلاث شعبنا وشبابنا وجميع أطيافنا. بعثت الأمل والثقة بالنفس والتوكّل على الله. لقد حلّت مكان اليأس والظُلمة والتشاؤم. لقد غيّر الشّعب الإيرانيّ روحيّته، فغيّر الله ما بهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]. لقد صحّح الشّعب الإيرانيّ مساره وحركته وحوافزه، فساعدهم الله في ذلك ونصرهم ودعمهم[3].

(1) سورة فصلت، الآية: 30.

(2) سورة الرعد، الآية: 11.

(3) المناسبة: الذكرى السنويّة الرابعة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 24 رجب 1434 هـ.

هو الّذي علّم الشعوب كيف تحطّم قيود الذلّة والأسر ومقارعة المتسلطين، فرأى أصحاب البصيرة في ملامح وجهه المضيء انعكاسات القرب من الحق، وتألّقات رحمة الله وبركاته، فاستجاب الله دعاءه وهو يردد: « **إلهي لم يزل برّك عليَّ أيام حياتي، فلا تقطع برّك عني في مماتي**».

معالم ومبادئ خط الإمام الخميني قدس سره

إنّ للإمام مبادئه وأصوله، وقد طُرحت هذه المبادئ على مدى عشرة أعوام من حاكميّة الإسلام وقبلها طوال خمسة عشر عامًا من النهضة في مختلف الكلمات والخطابات الّتي يُمكن استقاء مبادئ الإمام من خلالها. ولو وضعنا هذه الأسس والمبادئ جنبًا إلى جنب لتكوّنت أمامنا خارطة شخصيّة الإمام الخمينيّ الجليل؛ هذه هي شخصيّة الإمام. وهنا لا أدعو إلى الاهتمام بكل قضيّة فرعيّة، فإنّ لحياة الإمام كما هو حال سائر الناس منعطفات وأحداثًا، ولكلّ حادث مقتضياته، وإنّما أقصد المسائل الأساسيّة الّتي لا يُمكن إنكارها، والّتي تُعتبر من البيّنات الّتي جرت على لسان الإمام مرارًا وتكرارًا في خطاباته وكلماته على مدى أعوام طويلة، سواء قبل تشكيل الحكومة الإسلاميّة، أو خلال فترة إقامتها، أو في غضون فترة الحرب المفروضة الّتي طالت ثمانية أعوام، أو قبل ذلك أو بعدها. كما ولا ينبغي عرض هذه المبادئ والأصول بطريقة انتقائيّة.

فمبادئ الإمام هي مبادئ الإسلام، وعدالته عدالة الإسلام، وحاكميّة الشعب الّتي جاء بها هي حاكميّة الشعب الإسلاميّة. فلقد رسم الإمام مبادئ الثورة وأطّرها بإتقانٍ ودقّة ووضوح؛ لِئلّا

تستطيع القوى السلطويّة في العالم هضم هذه الثورة في ماكنتها الثقافيّة والقضاء عليها كسائر التغييرات السياسيّة[1].

محوريّة الإسلام المحمديّ الأصيل

إنّ الإسلام هو الّذي يؤكّد على حقوق الشعب، وأهميّة رأي الجماهير، وتأثير ما لها من جهاد وحضور، ولهذا فقد اتخذ الإمام العظيم من الإسلام والجماهير محورًا لعمله ونشاطه، واعتبر أنّ عظمة الإسلام هي عظمة الجماهير، وأنّ اقتداره هو اقتدارها، وأنّ هزيمة الإسلام هي في ذاتها هزيمة الجماهير.

لقد كان أهم إنجاز حققه الإمام العظيم على مستوى العالم الإسلاميّ هو أنّه أحيا الأبعاد السياسيّة والاجتماعيّة للإسلام. فمنذ أن بسط الاستعمار نفوذه على البلدان الإسلاميّة، لم يألُ المستعمرون والمتسلّطون جهدًا في تفريغ الإسلام من أبعاده السياسيّة والاجتماعيّة، وتعريَتِه عن مبادئ العدالة والحريّة والاستقلال.

لقد وجد المتسلّطون أنّهم لن يتمكّنوا من بسط سيطرتهم، وإحكام قبضتهم على شعوب وموارد البلدان الإسلاميّة إلاّ إذا أفرغوا الإسلام من أبعاده السياسيّة، وجعلوه مقتصِرًا على مجرد

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثالثة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 22 ربيع الأوّل 1423 هـ.

الرضوخ للأحداث، والاستسلام أمام المستعمرين والأعداء الظالمين والمستبدّين[1].

إنّ المحور الأساسيّ في مذهب إمامنا العظيم، يَكمن في عَلاقة الدين بالدنيا، وهو ما يُعبّر عنه أيضًا بالدين والسياسة، والدين والحياة.

لقد اتّخذ الإمام رأي الإسلام مُنطلقًا له في بيان علاقة الدين بالدنيا. يَرى الإسلام أنّ الدنيا قَنطرةَ الإنسان لبُلوغ الكمال، وأنّها مزرعة الآخِرة. ومن هذه الزاوية وهذه الرؤية تكون الدنيا عبارة عن الإنسان والعالَم.

فالدين والدنيا في منطق إمامنا العظيم مترابطان وممتزجان مع بعضهما معًا ارتباطًا وامتزاجًا وثيقًا لا يُمكن معه الفصل بينهما.

وهذه هي المسألة الّتي تَعرّضت منذ بداية ثورة الإمام وحتّى يومنا هذا لأكثر أنواع المواجهة والخصومة والعِناد من قِبَل أرباب الدنيا والمستكبرين، الّذين بَنوا حياتهم وأقاموا حكوماتهم وصَبّوا جهودهم، ووظّفوا أموالهم لفصل الدين والأخلاق والمعنويّات عن المجتمع. إلّا أنّ للدنيا مفهومًا آخر. فقد جاء في النصوص الإسلاميّة تفسير الدنيا بالأنانيّة وحبّ الذات وعبادة الهوى والشهوات وجرّ الآخرين إلى الوقوع في أسر الهوى. وقد امتلأ القرآن والسنّة وأقوال

(1) المناسبة: البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 21 ذي القعدة 1409 هـ.

العلماء، بذمّ هذا النوع من الدنيا ونبذها، وهي الدنيا الّتي يُجسدها فرعون ونمرود وقارون والشاه وبوش وصدام، وجميع المستكبرين والظلمة عبر التاريخ وإلى يومنا هذا.

وقد كان الإمام يُحذّرنا من الوقوع في حبائل هذه الدنيا رغم نظرته في جعل الدين عين السياسة والاقتصاد والدنيا.

فعلينا أن نُفرّق بين هذين النوعين من الدنيا. كما أنّ الإمام نفسه قد زوى الدنيا بمعناها الثاني جانبًا، فلم يكن من ذوي الهوى والأنا وحب الذات، وأمّا الدنيا بالمعنى الثاني والّتي تُمثّل رقعة الحياة الواسعة، والّتي تعلّمناها من النصوص الإسلاميّة فقد كان الإمام يراها منسجمة مع الدين ومساوقةً له. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الدنيا متجر أولياء الله**»، إذ يُمكنهم من خلالها بلوغ التسامي والرُقي المعنويّ.

لقد عَلّمنا الإمام ذلك، وكان هذا هو السبب وراء عداوة القوى العظمى وخصومتهم العمياء ضدّ نظام الجمهوريّة الإسلاميّة. ولا تزال هذه العداوة قائمة، حيث نواجه على مستوى الإعلام العالمي هجمة شاملة حول هذه المسألة ويقولون: لماذا تجعلون من الدين منهجًا للحياة؟ وذلك لأنّهم يشعرون بالخطر على دنياهم الّتي بَنوها على أساسٍ من الظلم والجَور وغياب الأخلاق.

هذا هو النظام الّذي يُريده الاستكبار العالمي للإنسانيّة قديمًا وحاضرًا.

وقد عَمد نظام الجمهوريّة الإسلاميّة إلى دفع هذا النظام الباطل والدور الخاطئ وجاء بنموذج يُبرهن على أنّ بإمكان الدين أن يُؤدّي دورًا عمليًّا في حياة الناس[1].

فلم يكن هناك في فكر الإمام أيّة مُثُل أسمى ولا أعلى من الإسلام، ولم تكن نهضته وثورته إلاّ من أجل تحكيم الإسلام.

ثم إنّ الشعب الّذي فجّر هذه الثورة، وتقبّل هذا النظام، وارتضى بهذا الإمام إنّما كانت غايته الإسلام. ويكمن سرّ نجاح الإمام في أنّه حمل الإسلام على يده، وأعلن صراحة وبلا تستّر: أنّه يُريد العمل من أجل الإسلام، والنظر إلى كل شيء من خلال الرؤية الإسلاميّة.

كانت هناك قبل الثورة شخصيّات في بلدنا، وفي بلدان أخرى تُؤمن بالإسلام حقًّا وحقيقة، غير أنّها لم تكن تملك الجرأة، أو لم تكن ترغب في طرح الإسلام صراحة وعلانيّة، بل كانت تدخل إلى الساحة تحت عناوين ومسمّيات أخرى، وكان مصيرها - عمومًا - الفشل، أمّا سبب انتصار الإمام؛ فلأنه تبنّى مشروع حاكميّة الإسلام على نحو صريح. والإسلام الّذي طرحه الإمام يُمكن النظر إليه على صعيدين:

أولًا: الإسلام كإطار للنظام. وفي هذا الجانب كان الإمام يُبدي تشدّدًا بالغًا، ولا يرضى حتّى بزيادة أو نقصان كلمة واحدة، ولا يقبل بأيّ نوع من التساهل، لا في المجال الاقتصاديّ ولا

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 26 ربيع الثاني 1426 هـ.

في غيره. فالإسلام الخالص لا بُدّ أن يسود في كل مكان؛ ويجب على النظام بكل أركانه - مجلس الشورى الإسلاميّ، والحكومة، والقضاء، وجميع الأجهزة الأخرى - أن يسير وفقًا لمسار مصالح الإسلام وفي ضوء سيادته. وكان الإمام شديد الحرص على هذا الجانب، ويسعى من أجله ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وثانيًا: الإسلام على صعيد الالتزام الفرديّ للأشخاص، حيثُ لا نجد هنا تلك الصلابة والحزم في ممارسة نفوذه، إنّما كان يكتفي في مثل هذه الحالات بالنصح والموعظة واللين والأمر بالمعروف، إذ كان الإمام يُؤمن بجدوى هذا الأسلوب.

إذًا فالأمر الّذي يحظى بالأهميّة الأولى في نهج الإمام الخمينيّ هو السعي لتحقيق حاكميّة الإسلام على صعيد الإيمان وعلى صعيد العمل[1].

الإسلام الأصيل مقابل الإسلام الأمريكيّ

وقد وضع الإمام الإسلام الأصيل في قبال الإسلام الأمريكيّ. فما هو الإسلام الأمريكيّ؟ إنّه في عصرنا وفي عصر الإمام وفي جميع العصور - في حدود ما نعلم، وقد يكون الأمر على نفس الشاكلة في المستقبل أيضًا - لا يخرج عن اتجاهين: الأول الإسلام العلمانيّ،

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

والآخر الإسلام المتحجر. ومن هنا لطالما رأينا الإمام يُدخل الّذين يحملون رؤية علمانيّة ويفصلون المجتمع والسلوك الاجتماعيّ للناس عن الدين الإسلامي في عداد الّذين ينظرون إلى الدين بنظرة متحجرة رجعيّة يستعصي على المجدّدين فهمها، والنظرة المتعصبة لأُسس خاطئة. ولطالما وضعهم الإمام إلى جانب بعضهم بعضًا. ولو جلتُم بأبصاركم لوجدتم أنّ كِلَا هذين التيارين موجود في العالم الإسلاميّ، وكلاهما مدعوم من قِبَل قوى الهيمنة في العالم ومن قِبَل أمريكا.

الإسلام الأمريكيّ يعني الإسلام الّذي يقتصر على التشريفات فيبتعد عن التطبيق، وهو إسلام عدم الاكتراث مقابل الظلم، ومقابل الجشع، واللامبالاة حيال التطاول على حقوق المظلومين، إنّه إسلام مساعدة العتاة والمتعسفين والأقوياء. الإسلام الّذي يتأقلم مع كل هذه الأمور. هذا الإسلام سمّاه الإمام: الإسلام الأمريكيّ[1].

[أمّا] الإسلام الأصيل من منظار الإمام الخمينيّ فهو إسلام قائم على أساس الكتاب والسنّة، ويُمكن استنباطه والتوصل إليه من خلال رؤية واضحة ومعرفة الزمان والمكان والاستعانة بآليّة ومنهجيّة علميّة مقبولة ومتكاملة في الحوزات العلميّة. وليس الأمر بحيث يتمّ التغافل عن طريقة الاستنباط، ويكون بوسع أيّ أحد إمكانيّة

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

الرجوع إلى القرآن واستنباط أُسس الحركة الاجتماعيّة منه، بل توجد لذلك آليّة ومنهجيّة عمليّة ومدروسة، وهناك من يستطيع النهوض بهذا الأمر. هذا هو الإسلام الأصيل في رؤية إمامنا الكبير. عِلمًا بأنّه لا يستطيع النهوض بهذه المهمّة كل من هو عارف باستخدام هذه الآليّة والمنهجيّة، بل يحتاج أيضًا إلى رؤيَة واضحة ومعرفة بالزمان والمكان ومعرفة بمتطلبات العصر للمجتمعات البشريّة والإسلاميّة، وكذلك معرفة العدو، ومعرفة أساليب عدائه، عند ذاك يُمكن تحديد الإسلام الأصيل ومعرفته والتعريف به.

إنّ إسلام وعّاظ السلاطين - ولطالما عبّر الإمام عنه بهذا التعبير - والإسلام الداعشيّ من جانب، والإسلام الّذي لا يعبأ بجرائم الصهاينة وجرائم الأميركيين من جانب آخر؛ الإسلام الّذي يَشْخَص ببصره نحو أمريكا والقوى العظمى ويكون رهن إشارتها، كلاهما يصبّان في مجرى واحد، وينتهيان إلى مصدر واحد، ومرفوضان في رؤية الإمام. فإنّ الإسلام الّذي يرسمه الإمام الخمينيّ لنا، يقف في مواجهة كل هذه الأنماط. والّذي يتّبع الإمام ويسير على نهجه لا بُدّ أن يرسم حدودًا تفصله عن الإسلام المتحجر والإسلام العلمانيّ، ولا بُدّ أن يكتشف الإسلام الأصيل ويتحرك وفقه. هذه هي واحدة من مبادئ الإمام وهي ليست من تلك الأمور الّتي ذكرها الإمام لمرة واحدة، وإنّما هي منتشرة في جميع آثاره وكلماته[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.

إنّ مدرسة الثورة الّتي أسسها الإمام تأبى أيّ نمط من الإسلام السفياني والمرواني، إسلام المراسم والمناسك الخاوية، الإسلام المسخَّر للتِبر والقهر، وبالتالي الاسلام الّذي تُسيّره أيدي القوى المغِيرة على أرواح الشعوب، وتحتضن بكل شوق الإسلام القرآنيّ والمحمَّديّ إسلام العقيدة والجهاد، الإسلام المعادي للظالمين، والعون للمظلومين، الإسلام المقارع للفراعنة والقوارين، وتدعو - في خلاصة الأمر - إلى الإسلام المحطِّم للجبابرة والمقيم لحكومة المستضعفين[1]، ذلك الإسلام الّذي يرفض التحجّر والخرافات والانبهار بالمدارس الأجنبيّة والالتقاطيّة.

ولقد ظلّ فصل الدين عن السياسة هو المسعى الّذي عمل أعداء الإسلام على تحقيقه، وما زال هو هاجسهم الكبير منذ بداية النضال؛ من أجل إقامة النظام الإسلاميّ وحتّى يومِنا هذا، أيّ أنّه ينبغي لكل من يريد أن يكون مسلمًا أن ينأى بنفسه عن الحياة وينعزل في ركن مظلِم، وألّا يُعير اهتمامًا لما يقوم به الأعداء والمعتدون والمحتلّون.

إنّ هذا الهدف ما زال محور نشاطهم حتّى الآن. ولكنّ الإمام طرح أمام العالم الإسلاميّ ما يُناقض كل تلك الأفكار، فانتشرت مبادئه في كافة البقاع الإسلاميّة. وحيثما قلّبنا البصر في جميع بلدان العالم الإسلاميّ سنجد أنّ الإسلام الحيّ في نظر النخبة والشباب

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 6 ذي القعدة 1410 هـ.

والأكاديميين والمفكرين والعلماء والأحرار هو ذلك الإسلام الّذي يستطيع حماية أمّته والحفاظ عليها من كيد المستكبرين والمتسلّطين والطامعين والمعتدين، وألاّ يدع فرصة تسنح للأعداء بالتدخّل والتسلّط والسيطرة على الشعوب، فهذا هو الإسلام المطلوب، وهذا هو الإسلام المحمديّ الخالص[1].

بيد أنّ تحقق الإسلام الأصيل غير مُتاح من دون سيادة الإسلام وتأسيس نظام الحكم الإسلاميّ. إذا لم يقم النظام السياسيّ في البلاد على أساس الشريعة الإسلاميّة والفكر الإسلاميّ، فلن يُمكن للإسلام خوض غِمَار كفاح حقيقيّ ضِدّ ظلَمة العالم وعُتاته ومتغطرسيه، وضد المتعسفين في المجتمع. لذلك اعتبر الإمام الخمينيّ حماية الجمهوريّة الإسلاميّة وصيانتها أوجب الواجبات، أوجبَ الواجبات، وليس من أوجبِ الواجبات. صيانة الجمهوريّة الإسلاميّة أوجب الواجبات. لأنّ صيانة الإسلام - بالمعنى الحقيقيّ للكلمة - رهن بصيانة النظام السياسيّ الإسلاميّ، ولا يُمكن ذلك من دون نظام سياسيّ.

كان الإمام الخمينيّ يعتبر الجمهوريّة الإسلاميّة تجسيدًا ومظهرًا لسيادة الإسلام. لذلك تابع الإمام قضيّة الجمهوريّة الإسلاميّة وبذل في سبيلها كل تلك الجهود، ووقف من أجلها بكل شدة وحزمٍ واقتدار[2].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الرابعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 3 ربيع الثاني 1424 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

الجاذبيّة والتنفير معيارهما الإسلام

[إنّ] المبنى والمعيار في جاذبيّة الإمام وتنفيره هو أيضًا العقيدة والإسلام. بالضبط كما يقول الإمام السجاد عليه السلام[1]، في الدعاء الرابع والأربعين من الصحيفة السجادية - وهو دعاء الدخول في شهر رمضان وكان الإمام السجاد يقرأه - يطلب الإمام من الله تعالى بعض الأشياء لشهر رمضان، ومنها قوله: «وأن نُسَالِم مَنْ عَادَانَا». يقول: اللّهم نطلب منك أن نسالم كل أعدائنا ونداريهم، ثُمّ يقول فورًا: «حاشَى من عُودِيَ فِيْكَ وَلَكَ فَإِنَّهُ العدو الّذي لا نُصَافِيهِ». باستثناء العدو الّذي عاديتُه من أجلك وفي سبيلك. هذا هو العدو الّذي لن نتصالح معه أبدًا، ولن تصفو قلوبنا معه على الإطلاق.

هكذا كان الإمام قدس سره. لم تكن له عداوة شخصيّة مع أحد. وإذا كانت هناك أكدار شخصيّة كان الإمام يضعها تحت قدميه. لكن العداء في سبيل العقيدة والدين كان عند الإمام مهمًا وجديًّا للغاية.

الإمام نفسه الّذي فتح ذراعيه منذ بداية النهضة لكل شرائح الناس بمختلف صنوفهم وأفكارهم وأنواعهم، واحتضنهم من أيّة قوميّة أو جماعة أو دين، هذا الإمام نفسه أقصى عن نفسه في بداية الثورة بعض الجماعات وأبعدهم. أبعد الشيوعيين عن نفسه بصراحة.

---

(1) قلنا مرارًا إن أدعية الإمام السجاد هي حقًا من أرقى كنوز المعارف الإسلامية. ثمة في هذه الأدعية معارف لا يمكن للمرء استخراجها من الروايات والآثار الروائية. الإمام الخامنئي دام ظله.

كان فعل الإمام هذا عجيبًا بالنسبة للكثيرين منّا نحن العاملين في السياسة والكفاح آنذاك، أي في مطلع الثورة. في مستهلّ الثورة اتّخذ الإمام الخمينيّ موقفه بصراحة من الشيوعيين وفصلهم عنه. وتصرّف بحزم حيال الليبراليين والمفتتنين بالأنظمة والثقافة الغربيّة، وأبعدهم عن نفسه، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم. والرجعيّون الّذين لم يكونوا على استعداد لتقبل الحقائق الإلهيّة والروح القرآنيّة لأحكام الإسلام ولم يتقبلوا التحول العظيم، طردهم الإمام عن نفسه.

لقد أدان الإمام الرجعيين مرات عديدة بتعابير مرّة وشديدة، وطردهم عن نفسه. لم يكن يتردد في التبرّي من الأشخاص الّذين لا يقفون داخل دائرة فكره ومبانيه الإسلاميّة، ولم يكن له معهم في الوقت ذاته عداء شخصيّ. لاحظوا وصيّته حيث يُخاطب الشيوعيين الّذين ارتكبوا في الداخل جرائم معيّنة وهربوا إلى الخارج. لاحظوا لهجة الإمام معهم. يقول لهم: تعالوا وارجعوا إلى داخل البلاد وتحمّلوا الجزاء الّذي يقرره لكم القانون والعدالة. أي تعالوا وتحمّلوا الإعدام أو السجن أو سائر العقوبات لتنقذوا أنفسكم من العذاب والنقمة الإلهيّة.

كان يتكلّم معهم بإخلاص وحرص عليهم. يقول: إذا لم تتوفر لديكم الشجاعة للعودة والخضوع للعقوبة فلا أقل من أن تُغيّروا - هناك حيث أنتم - طريقكم وتتوبوا ولا تجابهوا شعب إيران والنظام الإسلاميّ والحركة الإسلاميّة، ولا تكونوا مشاة وجنودًا للعتاة والمتغطرسين. ليس للإمام خصام شخصي. ولكنّه في إطار العقيدة والدين يُبدي جاذبيته ونفوره بكل حزم. هذا مؤشر رئيس في حياة الإمام ومدرسته.

التولّي والتبرّي على صعيد السياسة أيضًا يجب أن يتبع الفكر والمباني الإسلاميّة والدينيّة. هنا أيضًا يجب أن يجعل الإنسان الدين ملاكه ومعياره، وينظر ما الّذي يريده منه الله تعالى. وفق هذا المنهاج الّذي سار عليه الإمام والمنعكس في أقواله وأفعاله، **لا يُمكن أن يعتبر الإنسان نفسه في خط الإمام وتابعًا للإمام لكنّه في ذات الوقت يطرح نفسه في جبهة واحدة مع الّذين يرفعون بصراحة راية معارضة الإمام والإسلام.**

لا يُمكن القبول بأن تجتمع أمريكا وبريطانيا والـ C.I.A والموساد وأنصار الملكيّة والمنافقون حول محور معيّن ويتفقوا عليه ثم يدّعي ذلك المحور أنّه على خط الإمام، **هذا غير ممكن وغير مقبول.**

لا يُمكن التحالف مع كل من هبّ ودبّ وكل زين وشين. يتوجب أن ننظر ما هو الموقف الّذي اتخذه منّا أعداء الإمام بالأمس. إذا وجدنا أنّ مواقفنا بالشكل الّذي يدفع أمريكا المستكبرة والصهيونية الغاصبة ومرتزقة القوى المختلفة ومعارضي الإمام والإسلام والثورة ومعانديها إلى احترامنا وتكريمنا، فيجب أن نشكّ في مواقفنا وصحتها، ويجب أن نعلم أنّنا لا نسير في الطريق المستقيم. هذا معيار وملاك. وقد شدّد الإمام مرارًا على هذه النقطة. كان يقول - وهذا موجود في كتاباته وفي الوثائق الأكيدة لأقواله - **إنّهم إذا مدحونا فيجب أن نعلم أنّنا خونة.** هذا شيء على جانب كبير من الأهميّة.

الإيمان الراسخ والصادق بالشعب

إنّ الإيمان بإرادة الناس وقوّتهم ورفض المركزيّة الحكوميّة، يُمثّل أحد الخطوط الرئيسيّة لحركة الإمام. فقد كانت ثمّة محاولات، في تلك الأيام، نابعة عن رؤية خاطئة لإيكال جميع الأنشطة الاقتصاديّة في البلد إلى الحكومة، ولطالما كان الإمام يُحذّر من ذلك - وقد انعكست هذه التحذيرات في كلماته بشكل جليّ - فكان يُوصي بإيكال الأمور إلى الناس. حيث كان يثق بالشعب في القضايا الاقتصاديّة و يثق به في المسائل العسكريّة[1].

كان قائدنا وإمامنا يأخذ الناس بعين الاعتبار رغم كلّ تلك القدرة الإلهيّة والعظمة الّتي كان يحظى بها. في اللحظات الأولى، عندما رجع الإمام من باريس إلى طهران - أي في تلك اللحظات الأشدّ حساسيّةً في هذا التاريخ - كان الاضطراب يُسيطر على الجميع، وكان جميع المراقبين الدوليّين يعتبرون أنّ إيران هي مركز أكبر أحداث القرن الحاضر [القرن العشرون]. الكلّ كان ينتظر ماذا سيحصل في إيران. في تلك اللحظات الحسّاسة عندما أتى الإمام، ذهب إلى الناس مباشرة.

لقد تخلّى العجوز الثمانينيّ عن راحته ووضع نفسه في اختيار الناس. في تلك المرحلة، جاء السياسيّون وقالوا: «قولوا للسيّد أن لا يصرف هذا المقدار من وقته لأجل الناس، وأن لا يُكثر من

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.

الذهاب والإياب والاستقبال، وليسمح للسياسيّين والمفكّرين والعلماء بأن يجلسوا معه ويبحثوا في القضايا السياسيّة الكبرى». أمّا جواب الإمام إلى جميع هؤلاء فكان: «إنّني لا شغل لي مع السياسيّين وأصحاب الأدمغة والرؤوس الكبيرة، بل عملي هو مع الناس، فإذا أراد أولئك المجيء فليأتوا مع الناس». لقد فهم الإمام وشخّص بشكل صحيح، ولو قرّر الجلوس حينها مع السياسيّين لكنّا حتّى يومنا هذا ما نزال نستمع إلى كلمة السيّد بختيار[1] في مجلس الشورى غير الوطنيّ.

لم يكن هناك أيّ حجاب بين الإمام والناس. قالوا له مئات بل آلاف المرّات أيّها السيّد، أنت في خطر، قال: «لا يهم، وليكن، فإذا قُتلت فسأكون نافعًا للناس». كان يقف بين الآلاف ليتحدّث إليهم حيث يجتمع النساء والرجال والأطفال؛ يحمل الأطفال بين يديه ويقبّلهم ويحنّ عليهم ثمّ يعيدهم إلى أمّهاتهم وآبائهم. لقد أتى الإمام إلى الناس وواصل عمله وسعيه معهم وكان رهانه عليهم، وقد رأيتم أنّه انتصر[2].

[من هنا] كان أهم إنجاز حققه الإمام الراحل هو أنّه فرّق بين

(1) شاپور بختيار (1914 - 1991م) آخر رئيس وزراء في عهد الشاه محمد رضا بهلوي.
درس شهبور بختيار القانون في جامعة السوربون في فرنسا وتطوع في الجيش الفرنسيّ أثناء الحرب العالميّة الثانيّة، وانخرط في الحياة السياسيّة الإيرانيّة، ووصل إلى منصب رئيس وزراء إيران في الحكومة الّتي شكلها الشاه محمد رضا بهلوي عام 1979م قبيل عودة الإمام الخميني قدس سره من فرنسا، وفرّ بعد قيام الثورة إلى منفاه الاختياريّ في فرنسا، وتعرض لمحاولتيّ اغتيال نجا منهما بأعجوبة لكنّه في الثالثة سقط قتيلًا بعدة طعنات في الصدر أودت بحياته.

(2) الهواجس الثقافيّة عند الإمام الخامنئي دام ظله، دار المعارف الحكميّة، بيروت، 2014م، ص144.

مفهوم الحكومة الشعبيّة وبين ما أراد أدعياء الديمقراطيّة الغربيّة وعملاؤهم طرحه على نطاق الساحة العمليّة.

لقد حاولوا أن يبثّوا في روع الجماهير أنّ الحكومة الشعبيّة والحكومة الدينيّة هما ضُدّان لا يجتمعان؛ ولكن الإمام قضى على هذه المفاهيم الزائفة، وقدّم للعالم نموذجًا من الحكومة الشعبيّة الدينيّة متمثّلًا في هذه الجمهوريّة الإسلاميّة.

إنّه لم يكتف بمجرد الكلام أو الاستدلال الفكريّ الصرف، بل أثبت ذلك عمليًّا في ميدان الواقع[1].

لقد كان الإمام واثقًا من شعبه في أصعب وأحرج المراحل، قال في أحد بياناته: «إنّني أفهمكم جيّدًا، كما أنّكم تعرفوني جيدًا». وحقًا كان الإمام يفهم شعبه، يُدرك مدى شجاعته وعمق تضحياته ووفائه ومصداقيته، وكان الشعب هو الآخر يفهم الإمام جيدًا، ولهذا استجاب له واتبعه[2].

وكان الإمام الخمينيّ قدس سره من القلائل الّذين أدركوا عاطفة هذا الشعب، ومشاعره الخالصة. لقد كان واثقًا بشجاعة وإيمان ووفاء الشعب. ومن الإنصاف أن نذكر أنّ الشعب كان عند حسن ظن قائده. ولقد كان امتحانًا مدهشًا للإمام وللشعب، فالإمام كان ينظر إلى الشعب نظرات تشبه نظرات الأنبياء، والأنبياء لم

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الرابعة عشر لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 3 ربيع الثاني 1424 هـ.
(2) المناسبة: البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 21 ذي القعدة 1409 هـ.

يكونوا ليبحثوا عن الشخصيّات البارزة، كانوا يبحثون عن القلوب المؤمنة من جماهير الشعب «خفضوا أجنحتهم للمؤمنين». كما لم يكن الإمام هو الآخر يبحث عن المزايا، كان يهمس في قلوب الناس وجماهير الشعب وكانت علاقته معهم، وكان كما أوصى أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشتر[1].

[وإذا أردنا أن نتحدّث عن] النظام المدنيّ والسياسيّ [للإمام الخمينيّ قدس سره]، فهناك نقطتان أساسيّتان مرتبطتان إحداهما بالأخرى، أو بمعنى آخر، هما وجهان لعملة واحدة. **الأولى هي تفويض عمل البلاد للشعب عبر السيادة الشعبيّة** ومن خلال الانتخابات. والثانية أن تكون هذه الحركة - النابعة بالأساس من الإسلام الأصيل وكلّ ما يتّصل بحركة السيادة الشعبيّة وتفويض العمل للشعب - **في إطار الشريعة الإسلاميّة**. هذان القسمان، هما بلمحة واحدة، بعدان لحقيقة واحدة.

هذا البناء العظيم الّذي وضعه هذا الإنسان الكبير، يرتكز على **هاتين القاعدتين، الالتزامُ بالشريعة الّتي هي روح وحقيقة النظام الإسلامي**. فإذا تمّ تطبيق الشريعة الإسلاميّة بشكل تام في المجتمع، سوف يتمّ تأمين الحريّات العامّة والمدنيّة - حريّة الأفراد، الحريّة الفرديّة، وحريّة الشعب، أي الاستقلال - فالاستقلال هو الحريّة على نطاق الشعب، الّذي لا يرتبط بأحد ولا بمكان. إنّ الشعب الحرّ يعني

(1) المناسبة: البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 21 ذي القعدة 1409 هـ.

الشعب الّذي لا يكون بأيّ شكل من الأشكال تحت سيطرة مخالفيه، أو أعدائه أو الأجانب. يضمن الإسلام هذا الأمر، ويضمن العدالة في المجتمع، ويضمن المعنويّات. هذه هي العناصر الأربع الأساسيّة: الحريّة، الاستقلال، العدالة، المعنويّات. عندما تكون الشريعة الإسلاميّة حاكمة على المجتمع، تظهر هذه الظواهر الأساسيّة نفسها في نظم المجتمع الإسلامي. لذلك استند إمامنا العظيم إلى الشريعة الإسلاميّة الّتي هي روح الجمهوريّة الإسلاميّة. كما ارتكز أيضًا على السيادة الشعبيّة الدينيّة الّتي هي وسيلة وأداة مأخوذة أيضًا من الشريعة.

في مدرسة الإمام لا يُمكن القبول والاعتراف بأي قدرة أو سيطرة حصلت من خلال التزوير أو الفرض بالقوّة.

في النظام الإسلامي لا معنى للظلم والسيطرة. في النظام الإسلامي هناك معنى للقدرة والاقتدار، القدرة النابعة من اختيار الناس ومن رأيهم. لكن القدرة الناشئة من الفرض والضغط والسلاح، لا معنى لها في الإسلام ولا في مدرسة الإمام. تلك القدرة الّتي نشأت من اختيار الناس هي القدرة المحترمة[1].

[في المقابل فإنّ] الأنظمة والحكومات في العالم جميعها - تقريبًا - تتحدث عن الجماهير، وليس هناك من يُصرّح بإرادته العمل خلافًا لمصلحة الجماهير، حتّى تلك الأنظمة الملكيّة الوراثيّة

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2014 م.

المستبدّة، فليس فيها من يبوح بنيّته العمل خلافًا لإرادة الجماهير.

وبناءً على ذلك، فالادّعاء بحاكميّة الشعب قائم، لكن المهم مدى الشأن والمنزلة والحق والدور الّذي يراه هؤلاء للشعب.

وإذا اعتمد الإمام على عنصر [الشعب] فإنّه لم يكن يتظاهر بالألفاظ، بل كان معتقدًا بأصالة هذا العنصر بالمعنى الحقيقيّ للكلمة في النظام الإسلامي[1]. سواء في الانتخابات حيث قام الإمام على هذا الصعيد بحركة عظيمة حقًا، أو في غير الانتخابات، أي في القضايا الاجتماعيّة المختلفة. لا يُوجد في أي ثورة خلال فترة الثورات - والنصف الأول من القرن العشرين هو فترة الثورات المختلفة، حيث قامت ثورات بأشكال مختلفة في شرق العالم وغربه - أن أجروا استفتاء عامًا بعد شهرين من انتصار الثورة لانتخاب أسلوب الحكم ونظامه، لكن هذا الشيء حدث في إيران بهمّة الإمام. ولم تمض سنة على الثورة حتّى تم تدوين الدستور والمصادقة عليه.

وما عدا الانتخابات، اهتمّ الإمام كثيرًا بجماهير الشعب، وأشار إلى دوره، وقال في بعض المناسبات: إذا لم يفعل المسؤولون العمل الفلاني الّذي يجب أن يفعلوه فإن الناس أنفسهم سوف ينزلون إلى الساحة ويفعلونه[2].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 11 ربيع الأوّل 1422 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

كان الإمام قدس سره يُفهّم الناس أنّهم أصحاب هذا البلد ومالكوه «فللبلاد صاحبٌ». وهذا الكلام كان يجري على الألسن في عهود الحكومات الاستبداديّة أنّه للبلاد صاحب. وكان مرادهم من هذا التعبير أنّ أصحاب البلد هم في الواقع أولئك المستبدّون والدكتاتوريون المسلّطون على البلاد. كان الإمام يُفهّم الناس أنّ للبلد صاحبًا وهو الشعب[1].

[بالرغم من ذلك] لقد كان يطرق أذهان البعض، كيف أنّ الإمام رحل عن هذه الدنيا والتحق بالرفيق الأعلى واستطاع أن يلقى الله بقلب مطمئن بلا أدنى قلق أو اضطراب، مع تبحّره في أحكام الدين وما كان يوليه من أهميّة لأرواح الناس وأموالهم، وكل هذا العدد الهائل من الشهداء الّذين ضحّينا بهم في الحرب المفروضة؟ وكانوا يتساءلون: من الّذي يتحّمل مسؤوليّة كل هذه الدماء المسفوكة؟

إنّ جواب الإمام عن كل هذه التساؤلات المثيرة هو: أنّ المسؤول عن ذلك هو نفسه الّذي كان مسؤولًا عن الدماء التي سُفكت في صفّين والنهروان. وإنّ المسؤول عن كل هذه المشاكل والمعاناة هو نفسه المسؤول عن كافة المحن والآلام والمتاعب الّتي تحمّلها أمير المؤمنين في حياته.

إنّ هناك تبعات للثورة من أجل خلاص الشعب. كما أنّ ثمّة

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 1 رجب 1432 هـ.

تبعات للحرب المفروضة لمدّة ثماني سنوات دفاعًا عن استقلال هذا الشعب، وللصمود في مواجهة المستكبرين وقوى الاستكبار العالمي - إحقاقًا للحق - تبعات. وقد قام الإمام بتسديدها جميعًا متمثلة في الثقة العامة للشعب.

لقد استثمر الإمام هذه الثقة واستفاد منها في ديمومة المواجهة، فمنّ الله عليه بالثواب الأوفى والجزاء العظيم. إنّ الجماهير التي احتشدت لتشييع الإمام إلى مثواه كان يفوق عددها عدد من جاءوا إلى استقباله لدى عودته للبلاد، وهو ما يعني «من كان لله كان الله له». لقد كانت أفئدة الناس تهوي إليه، ولم يكن الإمام يريد تلك الثروة لنفسه، فقد كان يعلم أنّها لله تعالى، ولا بُدّ أن تُنفق في سبيله، فأعادها الله عليه أضعافًا مضاعفة. إنّ هذا هو الطريق إلى الله، ولهذا الطريق مشقّة وعناء، فعلى سالكه تحمّل ما يلقى من تعب ونَصَب[1].

فالمعيار الأصلي لهذا النظام، الجمهوريّة الإسلاميّة، هو جمهوريّة من ناحية، أي تعتمد على أصوات الشعب، وإسلاميّة من ناحية أخرى، أي تستند إلى الشريعة الإلهيّة.

هذا نموذج جديد. هذا من المؤشرات الأساس في خط الإمام. كل من يُفكر حول سيادة نظام الجمهوريّة الإسلاميّة بخلاف هذه الفكرة فهو يفكر بخلاف رأي الإمام، فلا يدّعِ أنّه من أتباع الإمام

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثامنة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 18 جمادي الأولى 1428 هـ.

الخمينيّ. إنّه يحمل فكرة مغايرة، وفكرة الإمام هي هذه الّتي ذكرناها. هذا هو أوضح خط من خطوط فكر الإمام الخمينيّ[1].

الانتخابات مظهر لحاكميّة الشعب

لا يظنّنّ البعض أنّ الإمام العظيم قد أخذ الانتخابات من الثقافة الغربيّة ودمجها بالفكر الإسلامي والشريعة الإسلاميّة. لا ليس الأمر كذلك، فلو لم تكن الانتخابات والسيادة الشعبيّة والرجوع إلى رأي الناس، جزءًا من الدين وكانت غير مرتكزة على الشريعة الإسلاميّة، فالإمام لم يكن ليلتزم بها. وقد شرح ذلك الإنسان الصريح والحاسم هذه القضيّة. هذا الأمر هو من الدين، فالشريعة الإسلاميّة هي الإطار. في كافّة التقنينات، والإجراءات والعزل والتنصيب، والسلوكيّات العامة التابعة لهذا النظام السياسي والمدني، يجب أن تُراعى الشريعة الإسلاميّة. وسيرورة العمل في هذا النظام هي من خلال السيادة الشعبيّة. أي إنّ كلّ فرد من الشعب، ينتخب النائب، وينتخب رئيس الجمهوريّة، أي ينتخب الوزراء عبر وسيط، ينتخب الخبراء، ينتخب القائد عبر وسيط، هذا العمل هو بيد الشعب. هذه هي الركيزة الأساسيّة لحركة الإمام العظيم[2].

في الشهور الأولى حينما لم يكن الدستور قد دُوّن بعد وتأخر

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.
(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2014 م.

الأمر، أتذكر أن الإمام طلبنا ذات يوم فتوجهنا إلى قم - وكان حينها لا يزال في قم - فقال مستاء « أسرعوا في تدوين الدستور». عندها أُقيمت انتخابات مجلس الخبراء وانتخب الناس الخبراء لتدوين الدستور. وبعد ذلك عندما دُوّن الدستور عرضوه على التصويت وأُجريَ استفتاء فانتخب الناس هذا الدستور. ثم أُجريت انتخابات رئاسة الجمهوريّة والمجلس. لم تُلغَ الانتخابات حتى في أصعب فترات الحرب حينما كانت طهران تحت قصف الأعداء. وإلى اليوم لم تتأخر الانتخابات في إيران حتّى ليوم واحد. أيّة ديمقراطيّة تضاهي هذه في العالم؟ بالإضافة إلى الثورات فإنّه لا تُوجد أيّة ديمقراطيّة يُدلي فيها الناس بأصواتهم بهذه الدقة وفي الموعد المقرر. هذا هو خط الإمام[1].

من المعروف في الثورات الّتي تقع في العالم - وهي غالبًا ما تكون انقلابات عسكريّة ولا يصدق عليها اسم الثورة - أنّ الّذين يُمسكون بزمام الأمور يُعطون أنفسهم فرصة سنة أو سنتين، ويقولون: يجب أن تمضي هذه المدّة حتّى تتوفر الأجواء المناسبة لإجراء الانتخابات، ولكنّهم غالبًا ما يرجئونها إلى موعد آخر.

بينما بادر الإمام الخمينيّ بعد شهرين من انتصار الثورة إلى إجراء أول انتخابات؛ وتلك هي الاستفتاء على دستور الجمهوريّة الإسلاميّة، وأُجريت من بعدها بشهر أو شهرين انتخابات خبراء

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

الدستور، وبعدها ببضعة أشهر انتخابات رئاسة الجمهوريّة، ومن بعدها بعدّة أشهر أجرى انتخابات مجلس الشورى.

ومعنى هذا: أنّ الإمام رجع في عام واحد، هو عام 1358هـ ش [1979م] إلى آراء الشعب أربع مرّات، فيما يتعلّق بقضايا مختلفة ترتبط بالبلد، وهي: الاستفتاء على النظام الأساسي، ثمّ انتخابات الدستور - الّتي جرت مرتين: الأولى لانتخاب خبراء تدوين الدستور، والثانية للتصويت على الدستور نفسه -، ثمّ انتخابات رئاسة الجمهوريّة، وأعقبتها انتخابات مجلس الشورى.

كان هناك الكثير من الأحزاب والفئات السياسيّة، والمدّعين لنصرة الشعب وأصحاب الألاعيب السياسيّة، إلاّ أنّ الإمام لم يُعوّل على أيٍّ منهم، ولم يفسح لهم المجال للمطالبة بمزيد من الامتيازات والتحدّث باسم الشعب، واتخاذ القرارات نيابة عن أبناء الشعب. لكنّه في نفس الوقت كان يحترم آراء الشعب[1]. إذ كانت للهويّة الإنسانيّة في منهج الإمام السياسيّ قيمتها وكرامتها وقدرتها على التأثير والإبداع، ونتيجة لذلك كان يرى ضرورة أن تلعب آراء الناس دورًا أساسيًا في تقرير مصير المجتمع[2].

فطوال تلك الأعوام العشرة من قيادة الإمام الخمينيّ كان الإمام يُؤمن بالناس، ويحترم أصواتهم وأفكارهم وآراءهم وتشخيصهم

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة عشر لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 15 ربيع الثاني 1425 هـ.

بكل ما للكلمة من معنى، حتّى أنّه قد لا تتطابق أصوات الناس مع رأي الإمام أحيانًا، إلّا أنّه كان يحترم أصوات الشعب ويُجلّها ويُقيم لها وزنًا. ولم يكتف بذلك في شأن الناس أيضًا، بل عرّفهم بأنّهم أولياء نعمة المسؤولين، ولطالما أكّد أن أبناء الشعب أولياء نعمتنا.

وأحيانًا كان يصف نفسه بأنه خادم للشعب قائلًا: أن تسمّوني خادم الشعب أحبّ إلي من أن تسمّوني قائده. وهذه كلمة كبيرة، وهي تدل على المكانة المرموقة للشعب وأفكاره وأصواته ومشاركته في رؤية الإمام. وقد لبّى الشعب نداء قائده خير تلبية، فنزل الناس إلى الساحات، وتفانوا في الإيثار بالروح والقلب في الميادين التي أشار إليها الإمام. وهذا أمرٌ متبادل، حيث كان الإمام يثق بالناس، والناس تثق به أيضًا. كان الإمام يُحب الناس، والناس يُحبونَه. هذه العلاقة المتبادلة هي أمر طبيعي[1].

وانطلاقًا من اعتماده على رأي الشعب وإرادته الحديدية، كان يرى إمكانيّة الوقوف بوجه جميع القوى العالميّة المعتديّة. وقد نشأ هذا البُعد في منهج الإمام من قوله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2]، وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].[4]

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.

(2) سورة الشورى، الآية 38.

(3) سورة الأنفال، الآية 62.

(4) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة عشر لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 15 ربيع الثاني 1425 هـ.

امتزاج العرفان بالسياسة

كان الإمام حاويًا للعرفان والسياسة معًا، وكان يسعى إلى تطبيقهما في الواقع الخارجي من خلال جهاده، فكان العرفان يشكّل نواة سلوكه، وكانت جميع مواقفه تدور حول محوريّة الله عز وجل، حيث كان مؤمنًا بإرادته التشريعيّة وموقنًا بإرادته التكوينيّة، وكان عالمًا بأنّ الّذي يسعى إلى تحقيق الشريعة الإلهيّة سيحظى بمساعدة قوانين الخليقة.

فقد كان الإمام موقنًا بقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]، فكانت الشريعة مهدًا وأعلام هداية لحركته الّتي قام بها من أجل إسعاد البلاد وأهلها بهدي الشريعة الإسلاميّة، متخذًا من التكليف الإلهيّ مفتاح سعادة يُوصِلُه إلى أهدافه المنشودة، ومن هنا كانت جملته المعروفة: «نحن نعمل من أجل أداء الواجب، ولسنا معنيين بتحقيق النصر».

ولا يعني ذلك أنّه لم يكن يريد النصر ويتمنّاه، إلاّ أنّ الدافع الّذي يُحركه نحو الهدف هو العمل بالتكليف، والقيام بوظيفته الشرعيّة، ولا يهمّه بعد ذلك تحقق النصر أو لم يتحقق؛ ولذلك لا يتطرّق إليه الخوف أو الشك أو اليأس أو الغرور، ولا يحيد عن مواقفه، ولا يعتريه التعب.

(1) سورة الفتح، الآية 4.

وهذه السياسة الّتي يمتزج فيها العرفان بالسياسة، تقع على طرف النقيض من السياسة الغربيّة القديمة الّتي يدعونها بالتقدّميّة كذبًا وزورًا، والّتي تُنادي بفصل الدين عن السياسة، وهو الخطأ الفاحش الّذي ارتكبه أولئك الّذين أقاموا الحضارة الغربيّة والثورة الصناعيّة في أوروبا، حيث اهتموا بالجانب العلمي وهو شيء جيّد، إلّا أنّهم أهملوا المعنويّات أو حاربوها وهو خطأ وانحراف.

فتجلّى منهج الإمام الجديد وخطّه في ضرورة امتزاج الدين والعرفان بالسياسة في كافة أركان القوى السياسيّة[1].

فإمامنا العظيم كان من أهل الخشوع والبكاء والدعاء والتوسل والتضرع. ولطالما كرّر في شهر شعبان المبارك هذه الفقرة من المناجاة الشعبانية خلال كلماته قائلًا: «إلهي هَب لي كَمالَ الِانقِطاعِ إليكَ وَأَنِر أَبصارَ قُلوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها إلَيكَ حَتّى تَخرِقَ أَبصارُ القُلوبِ حُجُبَ النّورِ فَتَصِلَ إلى‌مَعدِنِ العَظَمَة». هكذا كان سلوك الإمام. فإنّ بكاءه في الأسحار، ومناجاته، ودعاءه، واتصاله الدائم، كلّها كانت تشكّل الدعم المعنويّ لمتابعة واستمرار جهاد هذا الرجل العظيم[2].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 15 ربيع الثاني 1425 هـ.
(2) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.

الاستقامة

أنتم على وعي بأنّ لحركة الإمام قدس سره أوجه شبه كثيرة بالنهضة الحسينيّة، وتُقارب أنْ تكون صورة مستقاة منها. ومع أنّ الحركة الأصليّة - أي حركة الإمام الحسين عليه السلام - انتهت باستشهاد جميع رجالها، فيما آلت هذه إلى انتصار الإمام، إلاّ أنّ هذا لا يعد فارقًا جوهريًّا لأنّ للحركتين مضمون واحد، وكلتاهما محكومتان بسياق واحد. ولكن أدّى تفاوت المقتضيات أن يؤول مصير تلك إلى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، بينما خُتمت هذه بتسلّم إمامنا لزمام الحكم. وهذا على العموم أمر جليّ وواضح.

ومن جملة أوجه الشبه البارزة في كلتا الحركتين هو جانب الاستقامة. وهذه الكلمة لا ينبغي المرور على مغزاها مرور الكرام لأنّها على نصيب كبير من الأهميّة، إذ كانت تعني بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام العزم على عدم الانصياع ليزيد وحُكمِه الجائر. ومن هنا انطلقت بوادر التصدّي وعدم الاستسلام لحكومة فاسدة حرفت نهج الدين بالكامل. بهذه النيّة سار الإمام من المدينة، لكنه حينما لمس بمكة وجود الناصر قرن مسيرته تلك بالعزم على الثورة. وإلاّ فالجوهر الأصلي لموقفه المعارض هو الوقوف بوجه حكومة لا يتأتّى قبولها أو تحملها وفقًا للموازين الحسينيّة.

وإمامنا الكبير حذا **أولًا** في هذه الخاصيّة حذو الإمام الحسين عليه السلام بالكامل لذلك نجح في إيصال الثورة إلى شاطئ النصر. وكان **ثانيًا** سببًا في ضمان ديمومتها من بعده.

إنّ انتصار فكره ونهجه، له انعكاس أوسع على مستوى العالم ويتمثّل في توجّه الشعوب إلى الإسلام وإلى خط الإمام قدس سره. **وهذه الانتصارات إنّما هي ثمرة الاستقامة.**

في أحد الأيام قالوا للإمام: إنّك إذا واصلت هذه النهضة فسيغلقون الحوزة العلميّة في قم. وهنا لم يقتصر الحديث على القتل لكي يقول الإمام: **لا أُبالي بالقتل**، فالكثيرون على استعداد للتضحية بأنفسهم، ولكن حينما يُقال إنّ عملك هذا قد ينتهي بإغلاق حوزة قم، ترتعد فرائص الجميع، لكن **الإمام لم ترتعد فرائصه** ولم ينثنِ عن مساره بل واصله.

ثم إنّهم **قالوا له** في يوم آخر، إنّك إذا واصلت هذا الطريق فإنّهم **سيثيرون ضدّك كبار العلماء والمراجع**، ومعنى هذا إيجاد الاختلاف في العالم الإسلاميّ. في مثل هذا الموقف ترتعد فرائص الكثيرين، **إلاّ الإمام فلم ترتعد فرائصه** واستمر على مسيرته حتّى لحظة انتصار الثورة.

قيل للإمام مرّات ومرّات: إنّك تحث الشعب الإيراني على الوقوف بوجه النظام البهلوي، فمن المسؤول عن هذه الدماء التي تُراق؟ أي أنّهم وضعوا أمامه دماء الشباب.

وفي عام 1342 وعام 1343هـ ش، [1963 و1964م] عرض عليَّ أحد العلماء الكبار هذا الموضوع قائلًا: عندما قام الإمام بحركته تلك في الخامس عشر من خرداد وقُتل فيها الكثيرون - وكانوا من

خيرة شبابنا - فمن هو المسؤول عن ذلك؟ هكذا كان نمط التفكير حينذاك. ولا ريب أنّ هذا التفكير يؤدي إلى إيجاد الضغوط الّتي قد تصرف أي شخص عن هذا الطريق وعن مواصلة التحرك. إلاّ أنّ الإمام استقام. وفي أمثال تلك المواقف كان يُلاحظ سمو روحه وعظمة بصيرته.

هذا فيما يتعلق بفترة مقاومة النظام الشاهنشاهي.

أمّا الّذي يُعتبر بمثابة الدرس بالنسبة لنا فهو ما يتعلق بالفترة التالية لذلك، إذ يجب على الجميع الالتفات إلى هذه النقطة. وكما ذكرت ينبغي للعلماء والمفكرين والمحللين السياسيين، ومن لديهم القدرة على التحليل، أن يدرسوا هذه النقطة لأنّها مهمّة حقًا.

كانت المواجهة حتّى ذلك اليوم مع النظام الشاهنشاهي. ومن بعد إقامة النظام الإسلامي وإيجاد الجمهورية الإسلاميّة اتسع نطاق المواجهة وتبدلت صيغتها. أمّا اتساع نطاقها فقد ابتدأ منذ أن كشف الأعداء العالميّون عن وقوفهم بوجه نظام الجمهوريّة الإسلاميّة. ولكن من هم الأعداء العالميّون؟ هم الّذين نسميّهم بالاستكبار العالمي، والاستكبار العالمي يشمل جميع القوى المتغطرسة والمتجبّرة في العالم، وجميع الوجوه الوقحة المتسلّطة على الشعوب. هذا هو الاستكبار العالميّ. ولكن لماذا بدأوا يواجهون الجمهوريّة الإسلاميّة؟ والجواب عن هذا التساؤل مطوّل، وقد عرض عدّة مرّات، وخلاصته أنّهم رأوا الخطر محدقًا بمصالحهم وتوجّهاتهم التوسعيّة، وأنّ التواجد

المعنويّ والفكريّ للجمهوريّة الإسلاميّة في البلدان الإسلاميّة يُهدد هيمنتهم على تلك البلدان، وما شابه ذلك من الأسباب.

وعلى كل حال، فقد بدأوا بمواجهة عنيفة. ولو أنّ إنسانًا ضعيفًا كان بدل الإمام قدس سره في أيّة خطوة من خطوات تلك المواجهة لبادر إلى ايقاف تلك الحركة انطلاقًا من وجود العذر والمانع، ولقال: لا يُمكن مواجهة الاستكبار وهو على هذه الدرجة من القوّة والمقدرة، وإنّه لا مفر لنا من التراجع مكرهين. إلاّ أنّ الإمام لم يتراجع.

ولأجل بيان أهميّة هذه القضيّة لاحظوا الهجوم السياسيّ الشامل ضُدّ إيران. فجميع الأجهزة الإعلاميّة هاجمتنا في عدّة فترات. وفي بعض الأحيان تؤدي الهجمات السياسيّة على البلدان إلى شلّها وإرهاقها، وهي غالبًا ما تكون مؤثرة. واليوم حيث هيمن الإعلام الإذاعي والتلفازي على العالم بأسره، بات أمرًا تخشاه الدول إلى حد بعيد لما يتركه من تأثير على شعوبها.

وبدأ الأعداء مثل هذا الهجوم ضد نظام الجمهوريّة الإسلاميّة من كل جهة، وكان من الطبيعي أن لا يهتز شعبنا بسبب ما يتصف به من بصيرة وثبات. لكنّ الإمام لم يَقُل: ما دام الجميع قد تظافروا ضدنا فعلينا بالتراجع. لم يقل إنّنا قادرون على مواجهة أمريكا فقط، ولكن كيف يتأتى لنا مواجهة أمريكا وروسيّا معًا؟ وذلك لأنّ العالم الّذي كان منقسمًا إلى قطبين، تحالفا كلاهما وتظافرا ضدنا. لكنّ الإمام استقام ولم يتراجع عن كلامه وشعاره ونهجه، ولم يتفوه

بكلمة واحدة ممّا أراده الأعداء. **هذه هي الاستقامة الحسينيّة**، وهي بمقاييس العصر شبيهة بمواقف الإمام الحسين عليه السلام.

وحينما اندلعت الحرب المفروضة كان الوضع على هذه الشاكلة أيضًا. فالشعب الّذي ورث كل ذلك الدمار من العهد البائد، وكان بحاجة إلى العمل والإعمار، تعرض فجأة لهجوم العدو، وتعطّل ما كان لديه كالسكك الحديديّة والمصافي وصادرات النفط ومصانع الحديد. ولا شكّ أنّ كل من يواجه مثل هذا الوضع يستسلم أمامه لا سيّما وأنّ الطرف المقابل لم يكن النظام العراقي بل كان - كما يعلم الجميع - النظام العراقي مضافًا إليه الاتحاد السوفيتي وفرنسا والناتو والخبراء الأمريكيون وغيرهم. ولو أنّ الإمام قدس سره كان ضعيفًا آنذاك لعلّه كان يقول: لقد رُفِعَ عَنَّا التكليف. ولم يقل الإمام: هؤلاء يريدون أن لا نؤكد كثيرًا على أحكام الإسلام. حسنًا لا نُؤكّد عليها. ويريدون ألّا نُعادي إسرائيل، حسناً، لا نعاديها لأن الضغوط قويّة.

لم يقل الإمام شيئًا من هذا القبيل بل **أصرّ على موقفه**. وحتّى قرار وقف إطلاق النار الّذي وافق عليه لم يكن الدافع وراءه يكمن في تلك الضغوط، بل وافق عليه بسبب المشاكل الاقتصاديّة الّتي عرضها المسؤولون الاقتصاديّون في البلاد آنذاك وبيّنوا له أنّ الدولة غير قادرة على الاستمرار بالحرب بكل هذه التكاليف، فاضطر الإمام للموافقة على قرار وقف الحرب.

إذن فقبول القرار لم يكن مرده هجوم العدو أو تهديد أمريكا الّتي كان

من المحتمل أن تتدخل في الحرب. فأمريكا كانت تتدخل في الحرب حتّى من قبل هذا. ولو أنّ العالم تدخل بأجمعه في الحرب، لم يكن الإمام قدس سره لينثني بتلك السهولة. فالقضيّة كانت تتعلق بالوضع الداخلي.

لم يحصل خلال الحياة الشريفة للإمام الّتي امتدت لعشرة سنوات من بعد انتصار الثورة أن تردد لحظة واحدة بسبب ضخامة تهديد العدو - في أيّ بُعد من الأبعاد - أيّ أنّه كان يتمتع بنفس تلك الروح الحسينيّة.

ما يُمكن أن نستنتجه من هذا:

أولاً: إنّ من جملة الخطوط البارزة، بل والخط المميز لثورة عاشوراء هو استقامة الإمام الحسين عليه السلام.

ثانيًا: إنّ إمامنا الكبير قدس سره اتخذ الاستقامة الحسينيّة كمنهج له في نهضته وفي نمط حياته، ولذلك استطاع ضمان استمراريّة الجمهوريّة الإسلاميّة، وصد العدو عن أُسلوب الضغط والتهديد؛ لأنّه بيّن للعدو أنَّ الضغط والتهديد والهجوم لا تُجدي نفعًا، وأنّ هذا القائد ليس بالرجل الّذي تُثنيه مثل هذه الأفعال[1].

[وبالتالي] نجد القائد العظيم لهذه الثورة يقف كالطود الشامخ أمام كلّ العواصف المعارضة، ويكسر شوكة هذه العواصف ويبقى ثابتًا لا يهزه شيء[2].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السابعة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 16 محرم 1417 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 6 ذي القعدة 1410 هـ.

الوحدة الوطنيّة والإسلاميّة

إنّ زرع الفتن وبث الفرقة هما من سياسات العدو الثابتة والمستمرة. ولقد اعتمد إمامنا الجليل منذ البداية على الوحدة الوطنيّة وتوحيد الصفوف بين أبناء الشعب بشكل لا نظير له. وهذا بحدّ ذاته هو أحد الخطوط والمبادئ. فما علينا اليوم إلا اتّباع هذا النهج وهذا الخط.

أنتم تُلاحظون اليوم أنّ قضيّة إثارة الفرقة في العالم الإسلاميّ هي إحدى سياسات الاستكبار الرئيسيّة. لقد بلغ الأمر بالأمريكيين حاليًّا إلى التصريح بوضوح واستخدام عبارات التشيّع والتسنن والتحدث عن الإسلام الشيعيّ والإسلام السنّي، والكلام أنّهم يدعمون طرفًا، ويُهاجمون الطرف الآخر. في حين أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران كانت، ومنذ اليوم الأول لانطلاق الثورة، تحمل رؤية وحدويّة ونظرة مساواة في مجال الفروقات الطائفيّة.

فلقد تعاملنا مع إخواننا الفلسطينيين وهم سنّة بمثل ما تعاملنا مع الإخوة في حزب الله في لبنان وهم شيعة، وكان تعاملنا واحدًا في كل مكان. لقد كانت نظرة إمامنا العظيم في داخل البلد وفي العالم الإسلامي وكذلك نظرة الجمهوريّة الإسلاميّة هي نظرة بناء أمّة، ونظرةٌ تستوعب الأمّة الإسلاميّة.

وعندما يقوم عملاء أمريكا من الدرجة الثانية بطرح قضية «الهلال الشيعي»، فذلك مظهر وعلامة لسياسة بث الشقاق

والفتنة. وحينما يقوم الأمريكيون - على رغم إعلامهم المدّعي محاربة الارهاب - بمسايرة الجماعات التكفيريّة الّتي تثير الفتن في العراق وسورية، بل وأحيانًا يساعدونها بصورة سريّة خفيّة، فيما عملاؤهم يدعمونها بشكل صريح وواضح، فهذا يدلّ على أنّ زرع الفتنة والتفرقة بنظر أعداء الإسلام والمسلمين وأعداء الجمهوريّة الإسلاميّة له دور بارز وأساسي جدًا، وهذا ما يجب على الجميع الالتفات إليه شيعة وسنّة، فلا يسقطوا في فخ العدوّ وألاعيبه.

لا يوجد فرق بين ذلك التسنن الّذي تدعمه أمريكا وذلك التشيّع الّذي يُصدَّرُ إلى العالم من مركز لندن، فكلاهما شقيقا الشيطان وكلاهما من عملاء أمريكا والغرب والاستكبار[1].

ونحنُ لا نبني بنياننا مع الأعداء والمستكبرين على أساس المصالحة والمساومة، ومع الإخوان المسلمين على أساس العداوة والخصومة، بل نفتح معهم باب الصداقة والرفاقة والأخوّة، لأنّنا نعتقد بضرورة أن يكون الناس ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2]، فإنّ هذا هو الدرس الّذي نقتبسه من إمامنا الجليل، وهو النهج المؤكّد للجمهوريّة الإسلاميّة. إذ إنّنا في دعم المظلوم لا ولم ننظر إلى مذهب الطرف الآخر، وهذا هو نهج إمامنا العظيم، حيث تعامل

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.
(2) سورة الفتح، الآية 29.

مع المقاومة الشيعيّة في لبنان كما تعامل مع المقاومة السنيّة في فلسطين دون أي فارق.

أن القضيّة بالنسبة لنا هي الدفاع عن الهويّة الإسلاميّة ومناصرة المظلوم ودعم القضيّة الفلسطينيّة الّتي تقف اليوم على رأس قضايا المنطقة الإسلاميّة. هذه هي قضيتنا الرئيسة. ولا يوجد فرق في عدائنا أيضًا، فقد حارب الإمام الخمينيّ العظيم محمد رضا بهلوي[1] الّذي كان شيعيًّا في ظاهره كما حارب صدام حسين الّذي كان سنيًّا بحسب الظاهر، وبالطبع لا ذاك كان شيعيًّا ولا هذا كان سنيًّا، بل كانا كلاهما أجنبيّين عن الإسلام، غير أنّ هذا يتظاهر بالتسنّن وذاك يتظاهر بالتشيّع، وقد واجههما الإمام على حدّ سواء.

فالقضيّة ليست قضيّة شيعيّة وسنيّة وقضيّة طائفيّة وما إلى ذلك، وإنّما هي قضيّة الأسس الإسلاميّة «كونوا لِلظّالِمِ خَصمًا وَلِلمَظلُومِ عَونًا». هذا هو دستور الإسلام، وهذا هو سبيلنا ونهجنا[2].

(1) محمد رضا بهلوي (1919م - 1980م)، وُلد في مدينة طهران الإيرانيّة، تلقى تعليمه في المدرسة الداخليّة السويسريّة، ثم أكمل تعليمه في إيران في الكليّة الحربية عام 1935م. وهو الابن الأكبر لرضا بهلوي، وقد نُودي به وريثًا للعرش عام 1926م. وكان آخر ملك يحكم إيران قبل انتصار الثورة الإسلاميّة عام 1979م، واستمر حكمه من 1941م إلى 1979م وكان يُلقب بـ «شاهنشاه» أي ملك الملوك.

(2) المناسبة: لقاء أعضاء المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام واتحاد الإذاعات والقنوات المرئية الإسلامية، الزمان: 17 آب 2015 م.

عالميّة النهضة

من النقاط الأخرى الساطعة في خط الإمام عالميّة نهضته. كان **الإمام يعتبر النهضة عالميّة**، ويرى هذه الثورة ثورة جميع الشعوب المسلمة، بل حتى غير المسلمة. لم يكن الإمام ليُحابي في هذه القضيّة. هذا شيء يختلف عن التدخل في شؤون البلدان الأخرى، وهو شيء لا نفعله، وهو غير تصدير الثورة بالطريقة الاستعماريّة القديمة، وهو شيء لا نفعله أيضًا ولسنا من أهله، إنّما معناه أنّه **يجب أن ينتشر الأريج الطيب لهذه الظاهرة الرحمانيّة في العالم**، وتفهم الشعوب ما هو واجبها وتعلم ما هي هويتها. من نماذج هذه النظرة العالميّة موقف الإمام من قضية فلسطين.

يقول الإمام صراحة إنّ إسرائيل غدة سرطانيّة. حسنًا، ماذا يفعلون للغدة السرطانيّة؟ هل يُمكن علاج الغدة السرطانيّة سوى باستئصالها وقطعها؟ **لم يكن يُحابي الإمام أحدًا**. هذا هو منطق الإمام. هذا الكلام ليس شعارات بل هو كلام منطقي.

فلسطين بلد تاريخي. كان ثمّة بلد طوال التاريخ اسمه فلسطين. جاءت جماعة تدعمها القوى الظالمة في العالم وطردت هذا الشعب من هذا البلد بأعنف وأشد الأساليب وقتلته ونفته وعذبته وأهانته وأخرجته من دياره - حيث يوجد اليوم عدة ملايين من المشردين الفلسطينيين في البلدان المجاورة لفلسطين المحتلة، وفي البلدان الأخرى، ومعظمهم في المخيمات - والواقع أنّهم ألغوا

بلدًا عن الساحة الجغرافيّة، وألغوا وجود شعب بكامله، وفرضوا وحدة جغرافيّة أخرى مصطنعة مكانه، وجعلوا اسمها إسرائيل.

لاحظوا هنا ما الّذي يقتضيه المنطق. كلمتنا بخصوص قضيّة فلسطين ليست كلامًا لمجرد الشعار، إنّما هو كلام منطقي مائة بالمائة.

جماعة من الأقوياء كان على رأسهم في البداية بريطانيا، ثم التحقت بهم أمريكا، واتبعتهم البلدان الغربيّة يقولون إنّ فلسطين وشعب فلسطين يجب أن يُلغيا ليحلّ محلهما بلد اسمه إسرائيل وشعب مصطنع اسمه شعب إسرائيل.

هذا كلام، ومقابل هذا الكلام يوجد كلام الإمام الّذي يقول: **كلا، يجب إلغاء هذه الوحدة المصطنعة المفروضة، ويحل محلها الشعب الأصلي والبلد الأصلي والوحدة الجغرافية الأصليّة.** أي الكلامين هو المنطقي؟ الكلام المعتمد على عسف السلاح والقوة والقمع والّذي يُريد إلغاء نظام سياسيّ ووحدة جغرافيّة تاريخيّة لها سابقة عدة آلاف من السنين، يُريد إلغاءها تمامًا عن المسرح الجغرافي، أم الكلام الّذي يقول: كلا، يجب أن تبقى هذه الوحدة الجغرافيّة الأصليّة وتزول الوحدة المصطنعة المفروضة! هذا ما كان يقوله الإمام. هذا هو الكلام الأكثر منطقًا الّذي يُمكن إطلاقه حول إسرائيل الغاصبة وقضيّة فلسطين. هذا ما قاله الإمام وأعلنه بصراحة.

والآن إذا قال أحد هذا الكلام حتّى بالإشارة والتلميح يقول بعض أدعياء خط الإمام: لماذا تُطلق مثل هذا الكلام؟! هذا هو كلام الإمام ومنطقه وهو منطق صحيح، وعلى جميع مسلمي العالم وكل الأحرار في العالم وكافة الشعوب المحايدة أن توافق على هذا الكلام وتقبله. هذا هو الصحيح وهو موقف الإمام[1].

فنداء الإمام لم يقتصر على الشعب الإيراني فقط، وإنما تعدّاه إلى جميع الأمم؛ لأن هذا المنهج كان يريد الخير والاستقلال والعزة والإيمان لجميع الأمة الإسلامية، بل وكافة البشرية، وهذه هي الرسالة الملقاة على عاتق المسلم.

وطبعًا، إنّ الفارق بين الإمام وذلك الّذي يحاول أن يدّعي لنفسه رسالة عالميّة، يكمن في أنّ الإمام لا يُريد إجبار الناس على اعتناق منهجه الفكري بالأسلحة والدبابات والمدافع وممارسة التعذيب، كما هو حال الأمريكيين؛ حيث يُحاولون إرساء الديمقراطيّة بإلقاء القنابل على هيروشيما، وإثارة الانقلابات العسكريّة في أمريكا اللاتينية وأفريقيا!

إنّ المنهج السياسيّ في الإسلام ينشر فكره الصحيح وكلامه الجديد في أذهان الناس، ويترك عطره فوّاحًا في الأجواء لتستنشقه حاسة شمٍّ سليمة، وها نحن نسمع كلام الفلسطينيين حيث يقولون: لقد استعدنا حياتنا ويقظتنا من نداء الإمام.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

كما يرى المسلمون في كافة أنحاء العالم والشباب والمفكرون والنخب المسلمة أنّ الفضل في فتوحاتهم الفكريّة في الميادين السياسيّة يعود إلى مدرسة الإمام الفكريّة، بل لم يقتصر ذلك على العالم الإسلاميّ[1].

هذا هو إمامنا العظيم، كان مهتمًّا وحريصًا على مصير مسلمي العالم؛ فمسلمو العالم هم الحجر الأساس في التفكير الإستراتيجي للنظام الإسلاميّ. وهناك شعوب في آسيا وأفريقيا وفي منطقتنا تناصر النظام الإسلاميّ، وهي تعبّر بشكل لم يسبق له مثيل عن اعتزازها وولائها للإمام وللثورة. وهذه حقيقة لا يوجد لها مثيل إزاء أيّ بلد لا في عالم اليوم ولا في الماضي؛ وهذا كله من أجل الإسلام. كان الإمام يُعير اهتمامًا فائقًا لمستقبل الأخوة المسلمين[2].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 15 ربيع الثاني 1425 هـ.
(2) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

مناهضة الاستكبار

كان الإمام يقف بصراحة في الجبهة المناهضة للقوى الدوليّة المتغطرسة والمستكبرة دونما مراعاة ومجاملة. وحين يقف عتاة العالم والمستكبرين والقوى المتسلطة في مواجهة المظلومين، كان الإمام إلى جانب المظلومين، ويصرّح بذلك دون مواربة وتقيّة. وكان مدافعًا جادًا عن المظلومين، ومقاومًا لا يهون في عدائه للمستكبرين. إنّ مصطلح «الشيطان الأكبر» في وصف أمريكا كان إبداعا مدهشًا من إبداعات الإمام، ولهذا التعبير «الشيطان الأكبر» امتدادات معرفيّة وعمليّة كثيرة. إذ إنّ تعاملك سيكون واضحًا ومشاعرك ستكون جليّة في حق ذلك الشخص أو الطرف الّذي تعتبره شيطانًا. وكان الإمام يحمل نفس هذا الشعور تجاه أمريكا حتّى آخر حياته، إلى جانب استخدامه تعبير الشيطان الأكبر، فإنّه كان يُؤمن به إيمانًا راسخًا.

وفي المقابل كان هناك منذ بداية انتصار الثورة الإسلاميّة عدد من الأفراد لا يلتفتون إلى دور أمريكا في تقوية دعائم النظام الطاغوتي البهلوي الّذي أسقطه الشعب الإيراني. فقد أطاح أبناء الشعب بالنظام الطاغوتي، غير أن هناك جماعة كانت توافق على وجود الأمريكيين ومواصلة نشاط الإدارة الأمريكيّة أو نشاط بعض مؤسساتها وأجهزتها في داخل البلد! حول هذا الموضوع كان الاختلاف الأصليّ بين الحكومة المؤقتة وبين الإمام الخمينيّ، وهذا

ما كنّا نُشاهده عن كثب. إذ أنّهم لم يتفطّنوا إلى أنّ أمريكا هي المساند والمموّن للنظام الطاغوتي، وعلى الرغم من سقوط هذا النظام، فإنّ ذلك الجهاز الداعم له ما زال قائمًا نشيطًا، ولو أُتيحت له الفرصة وفُسِحَ له المجال، لاستعاد نشاطه ثانية ولوجّه ضرباته ولبدأ يبحث عن نقاط الضعف لينفذ ويتسلل من خلالها. هذه قضيّة لم يتنبّهوا لها، لكنّها كانت واضحة لدى الإمام. ومن هنا فإنّ مواقفه تجاه احتلال وكر التجسس - السفارة الامريكيّة في طهران - كانت نابعة من هذه الرؤية وهذا المنظار. وإنّ الّذين لم يلتفتوا إلى هذه النقطة في العالم قد تلقّوا الضربات والخسائر جراء ذلك، ولا نرغب هنا بلوم أحد أو الشماتة به، إلّا أنّها ضربات تلقاها البعض لأنّهم أسقطوا الأنظمة الرجعيّة والمستكبرة، ولكنّهم تجاهلوا الجهات الداعمة لها. وقد شاهد الإمام الخمينيّ هذه الجهات الداعمة منذ اليوم الأول وواجهها، ولذلك كانت له مواقفه ضدّ أمريكا والأجهزة السياسيّة والأمنيّة الأمريكيّة والّتي استمرت حتّى آخر عمره الشريف.

وفي المقابل دعم الإمام الخمينيّ الجليل على مدى هذه الأعوام الطويلة فلسطين ودافع عنها، كما ودافع عن أفغانستان أيضًا. ففي اليوم الّذي دخل الاتحاد السوفياتي أفغانستان، ورغم أنّنا كنا نعاني في مواجهة عداوة أمريكا لنا - والحكومات في مثل هذه الظروف حينما تعادي طرفًا غالبًا ما تتصالح وتنسجم مع الطرف الآخر - بيد أن إمامنا العظيم اتخذ موقفًا حاسمًا ضد الاتحاد السوفياتي،

وهو موقف لم تتخذه حتى بعض الحكومات ذات الميول الغربيّة، ولكن الإمام دعم شعب أفغانستان دون أيّة ملاحظة ومجاملة، ودعم شعب لبنان، ودعم الفلسطينيين بكلّ مودّة وصفاء. هذا هو منطق الإمام الخمينيّ في خصوص مواجهة الاستكبار. وبهذا المنطق يُمكن اليوم تشخيص قضايا العالم وفهم الموقف السليم[1].

[إنّ] عدم الثقة بالقوى المستكبرة والمهيمنة في العالم. أحد أركان مدرسة الإمام المتمثلة في الاتكال على قدرة الله. فقد وعد الله تعالى المؤمنين ولعن من لا يؤمن بهذا الوعد في قوله ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾[2]، ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[3]، وهم أولئك ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[4]. إنّ من ركائز فكر الإمام الخمينيّ العظيم، الإيمان بوعد الله والتصديق به حيث قال سبحانه ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[5]. والنقطة المقابلة لذلك [لسوء الظن بالله] هي عدم الاعتماد على إغراءات الأعداء والمستكبرين والقوى العالميّة مطلقًا. وهذا ما هو مشهود في عمل الإمام وسلوكه وخطاباته بالكامل. ولقد أدّى هذا الاتكال على قدرة الله والثقة به إلى أن يكون الإمام الخمينيّ العظيم صريحًا واضحًا في اتخاذ

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.
(2) سورة التوبة، الآية 68.
(3) سورة الفتح، الآية 6.
(4) سورة الفتح، الآية 6.
(5) سورة محمّد، الآية 7.

المواقف الثوريّة، حيث كان الإمام يتحدّث بصراحة، ويُبيّن ما كان يعتقد به دونما غموض وإيهام، وذلك لاتكاله على الله، لا لأنّه لم يكن يعلم بأنّ ذلك سيؤول إلى أن تنزعج القوى الكبرى وتثور ثائرتها، بل كان يعلم بذلك، ولكنّه كان يؤمن بقدرة الله ومدده ونصره.

لقد كان الإمام يتعامل مع الأحداث دون مساومة ومجاملة، حيث نجده قد أجاب على رسالة - وهناك رسالتان كانتا قد بُعثتا إليه من قبل الزعماء المستكبرين في العالم أو التابعين لهم - وكانت ردوده في غاية الصراحة والحسم، وقد بُثّت حينها عبر الإذاعة والتلفاز في الجمهوريّة الإسلاميّة. فقد بيّن الإمام، وضمن التزامه بالأدب، مواقفه الصارمة والبيّنة في تلك الرسائل. وقد أجرى الإمام توكّله [على الله] هذا كالدم في شرايين الشعب، فأضحى شعب إيران من المتّكلين على الله والمؤمنين بنصره والسائرين على هذا النهج.

وإنّ عدم ثقة الإمام بالمستكبرين وعدم التصديق بهم أدّى إلى أن لا يكترث بوعودهم أيضًا. فقد بعث الرئيس الأمريكيّ ريغان[1]، وكان رئيسًا مقتدرًا، كتابًا إلى الإمام وأرسل إليه رسالة وأوفد إليه مبعوثًا، فلم يعبأ به الإمام ولم يجب على رسالته ولم يكترث به واعتبر وعده كأنْ لم يكن شيئًا مذكورًا.

(1) رونالد ويلسون ريغان (1911م - 2004م)، الرئيس الأربعين للولايات المتحدة الأمريكيّة من عام 1981م إلى 1989م، وقبلها كان الحاكم رقم 33 على ولاية كاليفورنيا من عام 1967م إلى عام 1975م. كان يعمل بمجال التمثيل قبل أن يدخل المجال السياسي الذي بدأه في بداية الخمسينيّات. عند وفاته كان مصابًا بالزهايمر، ويُعتبر ثاني أكبر رؤساء أمريكا عمرًا (بعد جيرالد فورد) حيث بلغ عمره عند وفاته 93 سنة، بالإضافة إلى أنّه كان الأكبر حين انتخابه فقد كان عمره حينها 69 سنة.

وفي موقف آخر، وعدت إحدى الدول التابعة لأمريكا في مسألة نهاية الحرب المفروضة تسليم مئات بل آلاف المليارات، غير أنّ الإمام لم يأبه بذلك ولم يثق بهم. وهذا ما بتنا نتلمّسه نحن أيضًا في قضايانا الجارية، وندرك لماذا لا يُمكن الوثوق بوعود المستكبرين، ولا يُمكن الاعتماد على تصريحاتهم في الاجتماعات الخاصة. وهذا ما وضعه الإمام في عداد الخطوط الرئيسيّة لعمله وهو الاتكال على الله وعدم الثقة بالمستكبرين. علمًا بأنّ ذلك لا يعني قطع العلاقات مع العالم، فقد كان زعماء البلدان يبعثون إلى الإمام رسائل تهنئة في شتى المناسبات، والإمام بدوره أيضًا كان يُجيب عن رسائلهم، فقد كانت مثل هذه العلاقات المبنيّة على أساس الأدب والاحترام قائمة في الأطر العاديّة، ولكن لم يكن هناك أي ثقة بالجبابرة والمستكبرين وأتباعهم وعملائهم[1].

[وفي هذا السياق] إنّ معرفة العدو وعدم الاغترار به، من مبادئ الإمام أيضًا؛ فإنّ أوّل عمل يقوم به العدو هو إشاعة فكرة عدم وجود الأعداء.

ولكن كيف لا يكون للنظام الإسلامي أعداء؟! فناهبو ثروات الشعوب الّذين حُرموا من خيرات هذه المائدة سنوات طويلة لا بُدّ وأن يُضمِروا لنا العداء، ونحن نُلاحظ ممارساتهم العدائيّة، سواء عن طريق الإعلام أم عن طريق الحصار الاقتصاديّ، ولا يتورّعون

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.

عن القيام بكل ما من شأنه تقوية أعداء هذا النظام، وهم يصرّحون بذلك علانيَة.

الشيء الّذي لا ترتضيه أمريكا والاستكبار والقراصنة العالميون هو استقلال هذا البلد، واستقلال ووعي هذا الشعب، ويغيظهم الرفض الّذي يواجهونه لدى أبناء الشعب.

وهكذا فإنّهم يُناصبون الإسلام العداء؛ لأنّه هو الّذي أثار هذا الوعي بين أبناء الشعب.

كان الإمام الراحل على معرفة تامّة بالعدو وبأساليبه الإعلاميّة والسياسيّة ووقف بوجهه بكل صلابة[1]. فلم يثق بالعدوّ. فبعد أن خَبِر عدوّ شعب إيران، وعدوّ هذه الثورة جيدًا، وقف مقابله كالطود الشامخ. صحيح أنّه كان هناك من يتصوّر أنّ العقل يقتضي أن يتنازل المرء أحيانًا للعدوّ، إلّا أنّ الإمام كان يتحرّك بعكس هذا التصوّر. فعقلانيّة الإمام وعقل هذا الرجل الإلهيّ الناضج الكامل أوصله إلى هذه النتيجة وهي أنّ أقلّ تنازلٍ وتراجعٍ وليونة مقابل العدوّ ستؤدي إلى تقدّم هذا العدوّ. ففي ميدان المواجهة لا يشعر العدوّ بالرحمة إزاء تراجع الخصم. فأيّ خطوة إلى الوراء من قبل الشعب المجاهد، معناها تقدّم العدو خطوة إلى الإمام ومزيد من تسلّطه[2].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 1 رجب 1432 هـ.

العدالة الاجتماعيّة ونصرة المستضعفين

إنّ من جملة المعالم البارزة لنهج الإمام العدالة الاجتماعيّة، وتقديم العون للطبقات المستضعفة والمحرومة، الّتي وصفها الإمام بأنّها هي صاحبة الحق في الثورة وفي البلد، إذ كان يرى أنّ الحفاة هم العنصر الأساس في الانتصارات الّتي أحرزها هذا الشعب. وكما ذكرنا فإنّ الإمام لم يكتف بالكلام وحده، وإنّما بادر منذ بداية الثورة إلى تأسيس جهاد البناء، ولجنة إغاثة الإمام، ومؤسسة المستضعفين، ومؤسسة الخامس عشر من خرداد، ومؤسسة الإسكان، وأصدر أوامر حازمة إلى الحكومة آنذاك حول هذا الموضوع.

فالعدالة الاجتماعيّة من جملة الأهداف الأصيلة في نهج الإمام الخمينيّ، ولا يُمكن إقصاؤها أو جعلها على درجة ثانية من الأهميّة.

هناك من يزعم في الوقت الحاضر أنّ الإمام الخمينيّ قال: إنّ ثورتنا ليست ثورة خبز! نعم، فالثورة الروسيّة الّتي وقعت في شهر أكتوبر عام 1917م - على سبيل المثال - جاءت نتيجة لفقدان الخبز في المدن الرئيسيّة آنذاك مثل موسكو، ولولا ذلك لَما وقعت تلك الثورة، أمّا ثورتنا فليست من هذا القبيل، وإنّما جاءت على أساس الإيمان، ولكن هذا لا يعني أنّها يجب أن لا تعتني بحياة الشعب وباقتصاده وبتوفير الطعام والرفاه له. ما هذه الأقاويل؟! فالإمام نفسه كان يعتني بهذه القضايا ويُصدر الأوامر اللازمة بشأنها، وكان أكثر ما يسترعي اهتمامه هو الطبقات المحرومة والمستضعفة.

يوجد اليوم - طبعًا - إلى جوار سكنة الأكواخ، من يعرفون كيف يصفون الدواء وهم متربّعون في زواياهم بدون أيّ شعور بالمسؤوليّة أو إدراك لحقيقة الواقع الموجود، زاعمين أنّ العدالة الاجتماعيّة لم تُطبّق. ومن الطبيعي أنّ العدالة الاجتماعيّة الكاملة لم تتحقّق، ولا زالت تستلزم المزيد من السعي، إلاّ أنّ النظام الإسلاميّ جاء وغيّر الطريقة المغلوطة الّتي كانت سائدة في هذا البلد - والّتي كانت لا تعترف بأيّ حق للقرية والقرويين وللمدن النائية وللطبقات المحرومة - واهتمّ أكثر ما اهتمّ بمثل هذه الأمور[1].

ومنذ قيام الحكومة الإسلاميّة وعلى امتداد السنوات العشر المباركة الّتي أخذ فيها بزمام القيادة، كان الإمام دائم التأكيد على المسؤولين وجميع المعنيين بضرورة رعاية الضعفاء، وكان يذكّرهم بأنّهم رهن الطبقة المستضعفة في هذا البلد[2].

كان [الإمام الخمينيّ قدس سره] يرفض التمييز والفروقات الاقتصاديّة رفضًا باتًا، ويواجه النزعة الأرستقراطيّة بمرارة، وكان مناصرًا حقيقيًّا للعدالة الاجتماعيّة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة. ولعل الدفاع عن المستضعفين من أكثر المواضيع الّتي تناولها الإمام في كلماته، وهو من الخطوط البيّنة في رؤية الإمام، ومن الأصول المسلّمة، حيث يدعو الجميع إلى العمل وبذل الجهد لاستئصال الفقر، والسعي

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.
(2) المناسبة: البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 21 ذي القعدة 1409 هـ.

في مساعدة المحرومين لإنهاء حالة الحرمان، ومساندة المحرومين بكل وسعهم، وكان من جانب آخر يحذّر المسؤولين من التخلق بأخلاق أهل القصور والّذي وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم أيضًا: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾[1]، وكان يُؤكد مرارًا على الاعتماد والثقة بوفاء الطبقات الضعيفة، ويكرّر القول بأن سكّان الأكواخ والفقراء والمحرومين هم الّذين ملأوا الساحات رغم حرمانهم دون اعتراض، وهم الّذين يحضرون في ميادين الخطر. بينما الطبقات المترفة هي أكثر من تُبدي استياءها وتبرّمها حين تقع الحوادث وتظهر المشاكل في كثير من الأحيان. لقد برزت قضيّة وفاء الطبقات المتوسطة والمحرومة من أبناء الشعب في رؤية الإمام وكان دومًا يُؤكد عليها. كما كان يشدّد على استخدام بيت المال بشكل صحيح، وتجنّب الإسراف. وهذه بدورها واحدة من الخطوط الأساسيّة المتمثلة بالعدالة الاجتماعيّة ومناصرة المحرومين والابتعاد عن النزعة الأرستقراطية والنزوع إلى البذخ والكماليّات والعمل في هذا الاتجاه[2].

وكان يُصرّ على المسؤولين أن يُدركوا الطبقات المحرومة. ويُصرّ على المسؤولين أن يجتنبوا حياة الأشراف. كان هذا من الوصايا المهمّة للإمام العظيم، وعلينا أن لا ننساها. إنّ آفة المسؤوليّة في أيّ نظامٍ، يعتمد على آراء الناس وإيمان الشعب، هي: أن يتحوّل

(1) سورة إبراهيم، الآية 45.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرين لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.

المسؤولون إلى التفكير برفاهيتهم الخاصّة والبحث عن الثروة وتجميع المال وهوس حياة النبلاء والأشراف وطرق باب هذا وباب ذاك؛ فهذه هي الآفة العظمى.

وقد جنّب الإمام نفسه هذه الآفة بشكل تام، وكان يُوصي مسؤولي البلاد مرارًا بأن لا يتّجهوا نحو حياة القصور والأشراف، وأن لا ينشغلوا بتكديس الثروة بل بإيجاد روابط قريبة مع الشعب. ونحن الّذين كنّا في تلك الأيام من المسؤولين كان الإمام يُحبّ لنا أن نرتبط بالناس ونأنس بهم، ويُصرّ على إيصال الخدمات إلى أقصى نقاط البلاد لكي يتنعّم أهالي تلك المناطق النائية بالخدمات العامّة. وكانت هذه نابعة من نظرة الإمام الجليل لبُعد العدالة. كان الإمام يُصر أن يُنتخب المسؤولون من بين الناس وأن يكونوا مُنبثقين منهم، وأن لا تُصبح التبعيّات [المحسوبيّات] مِلاكًا لتقبّل المسؤوليَّات.

وكان أحيانًا يقول في مقام مدح أحد المسؤولين: إنّ هذا جاء من بين الناس. كان يعده مِلاكًا. فبرأي الإمام الجليل كان الاعتماد على الثروة والسلطة للوصول إلى المسؤوليّة من المخاطر الكبرى على البلاد والثورة[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 1 رجب 1432 هـ.

ولاية الفقيه

حاول الكثير منذ بداية الثورة الإسلاميّة وانتصارها تعريف ولاية الفقيه بشكل خاطئ وسّيئ ومخالف للواقع.

وما تسمعونه من الأقوال الّتي تُرددها الأبواق المتأثرة بالإعلام المعادي ليس شيئًا جديدًا، فقد حاول البعض تعريف ولاية الفقيه بوصفها الحكومة الفرديّة المطلقة، وهذا كذب؛ إذ إنّ ولاية الفقيه - وفقًا للدستور - لا تنفي مسؤوليّات الأركان المسؤولة في الدولة.

فليس لولاية الفقيه سوى دور هندسة النظام، وحفظ مسيرته من الانحراف. وعليه فإنّ ولاية الفقيه ليست مجرد منصب شكلي، وقد يكون ناصحًا أحيانًا دون أن يكون ملزمًا، كما أراد البعض إشاعته في مطلع الثورة.

كما أنّه لا يضطلع بدور تنفيذي في أركان الدولة، فالقوى التقنينيّة والتنفيذيّة والقضائيّة تُمارس دورها بشكل مستقل، وتكون مسؤولة عن ممارساتها، ولولاية الفقيه دور الإشراف على هذه المجموعة المعقّدة؛ بغية صيانتها من الانحراف عن الأهداف والقيم.

وقد استنبط الإمام هذا الدور للفقيه من صلب الدين والفقه السياسيّ في الإسلام، كما أدرك ذلك سائر فقهائنا على طول التاريخ الشيعي، سوى أنّه لم تسنح لهم فرصة تطبيقها.

إنّ هذه المسؤولية الحسّاسة والخطيرة تقوم بدورها على أُسس

وضوابط دينيّة، كما تقوم على رأي الناس وإرادتهم، فالمعيار في ولاية الفقيه معنوي، خلافًا للمعايير في النظم الرأسماليّة، فإنّها ماديّة محضة.

فالمعيار في ولاية الفقيه يقوم على العلم والتقوى والدراية؛ والعلم يستتبع وعيًا، والتقوى شجاعة، والدراية مصالح البلاد وشعبها، ولو افتقد متبوئ هذا المنصب واحدًا من هذه الأسس سقطت كفاءته حتى وإنّ حظي بدعم أفراد الشعب، فرأي الناس مؤثّر في إطار هذه الضوابط.

ومن جهة أخرى: إذا توفّرت جميع هذه المعايير في شخص وتمَّ انتخابه برأي الجماهير عن طريق مجلس الخبراء، لا يُمكنه أن يقول: قد توفّرت فيّ هذهِ الضوابط فعلى الناس أن يستجيبوا لي، فحق الانتخاب بيد الناس.

هذا ما أراده الإمام. وطبيعي أنّ أعداء الإمام ومنهجه لا يعجبهم هذا الدور؛ ولهذا تراهم يصبّون جام هجماتهم عليه، وعلى رأسهم الّذين قصرت أيديهم بفضل الإمام عن نهب خيرات البلاد ومصادرها المادية والمعنوية، وهناك من يحذو حذوهم[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 15 ربيع الثاني 1425 هـ.

المعاصَرة والحيوية

إنّ منظومة الإمام الفكريّة تمتلك الخصائص الكاملة لمدرسة فكريّة واجتماعيّة وسياسيّة فإنّها أولًا تستند وتقوم على رؤية كونيّة وهي عبارة عن التوحيد، حيث كانت جميع تحركاته وكل منطقه مبنيًّا على التوحيد الّذي هو البنية التحتيّة الأساسيّة لجميع الأفكار الإسلاميّة.

السِّمة الأخرى الّتي تتّسم بها هذه المنظومة الفكريّة والّتي تجعل منها مدرسة بكل ما للكلمة من معنى، هي أنّ منظومة الإمام الفكريّة كانت تواكب العصر، وتطرح القضايا الّتي تعاني منها المجتمعات البشريّة والمجتمع الإيرانيّ، وتشعر بها الجماهير.

إنّ مناهضة الاستبداد ومواجهة الاستكبار تحتل الصدارة في مدرسة الإمام الفكريّة، وهذا ما كان يُدركه الشعب الإيراني، وكذلك الشعوب المسلمة بل الشعوب غير المسلمة أيضًا. و لهذا السبب فقد راجت هذه الدعوة وانتشرت في الأرجاء كافة.

والميزة الأخرى لهذه المدرسة الفكريّة هي أنّها كانت حيويّة ونشيطة وعمليّة؛ فلم تكن كتقديم بعض الأفكار وطرح النظريّات التنويريَّة ذات الكلمات الجميلة الجذابة في مقام البحث، والفاقدة للفاعليّة في ميدان العمل!. فقد كان منطق الإمام وفكره ونهجه منطقًا وفكرًا ونهجًا عمليًّا يُمكن تطبيقه في ساحة العمل.

ولهذا السبب نجح وانتصر وتقدم إلى الأمام. لقد بدّلت هذه الحركة تاريخ بلدنا رأسًا على عقب.

لقد كُنّا - نحن الشعب الإيراني- شعبًا خاضعًا غارقًا في اليأس وضياع الأهداف. كنا شعبًا تابعًا قد فرضوا عليه التخلّف عمدًا؛ حيث كانوا يفرضون علينا فكرهم وثقافتهم أيضًا. وكذلك كانوا ينهبون مواردنا الاقتصاديّة، ويفتحون علينا في الوقت ذاته سيلًا عَفِنًا من العادات البشعة والأخلاق السيئة؛ كنّا هكذا شعبًا، فحوّلنا الإمام إلى شعبٍ متحفّز مندفعٍ حيويّ ومفعم بالأمل، شعب ذي أهداف سامية. وقد استفقنا وقُمنا من حالة الإغماء والسبات نتيجة ما قامت به نهضة إمامنا الجليل وما أنجزه هذا الرجل العظيم[1].

[وأخيرًا، إنّ هذه المبادئ] قد لا تنحصر بهذه الموارد، وبوسع الباحثين والقادرين على النهوض بهذه المهمة أن يفتّشوا في كلمات الإمام - الّتي قد تمّ تدوينها والحمد لله ووضعها في متناول الناس - واستخراج مبادئ أخرى. ولا يسعني استعراض كل الأصول والمبادئ الّتي يُمكن استخراجها من كلمات الإمام، لذا أطلب من الآخرين البحث عن مبادئ أخرى، غير أنّ الأمور الّتي [استعرضناها]، تُعتبر من مسلّمات منطق الإمام ومدرسته ونهجه وخطه... ولا يحقّ لأيّ أحد أن ينسب للإمام ما يحلو له من الكلام. وإنّما يجب أن ننسبَ

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.

إلى الإمام ما هو موجودٌ في آثاره بصورةٍ متكرّرة ومتواصلة، كما هو شأن الأصول الّتي ذكرناها، فهي مواضيع يجد المرء عند المراجعة أنّها قد تكررت بأجمعها في كلمات الإمام من البداية حتّى النهاية على مدى أعوام مَديدة، وبهذا تدخل في عداد الأصول والمبادئ. ليبحث الآخرون عن أُسس أخرى بهذه الطريقة المنهجية[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.

هو الروح الّذي هبّ يحمل
عصا موسى ويده البيضاء
وفرقان المصطفى من
أجل إنقاذ المظلومين، فهزّ
عروش الفراعنة وأضاء الأمل
في عيون المستضعفين.
لقد أعاد للإنسانيّة كرامتها
وللمؤمنين عزّتهم وللمسلمين
قوّتهم وشوكتهم.

انجازات الإمام الخميني قدس سره

لقد أنجز الإمام أعمالًا كبرى تتناسب وعظمته، أذكّركم ببعضها. ولو قام المحللون والمفكرون بإحصاء أعمال الإمام فإنّهم ولا شكّ سيدرجون أضعاف ما أذكره.

بعثه للإسلام من جديد

في طليعة أعماله العظيمة، بَعْثُهُ للإسلام من جديد. مائتا عامٍ والدوائر الاستعماريّة تعمل على طمس الإسلام. لقد هتف أحد رؤساء الوزراء الانجليز في أحد المحافل السياسيّة للمستعمرين قائلًا: يجب أن نعمل على إزواء الإسلام في البلدان الإسلاميّة. لقد أنفقوا مبالغ طائلة من أجل إقصاء الإسلام بعيدًا عن الحياة العامّة أولًا، ثُمّ إخراجه حتّى عن دائرة التفكير والعمل الشخصيّ للإنسان المسلم؛ ذلك أنّهم كانوا يُدركون أنّ هذا الدين هو العقبة الكبرى الّتي تقف في طريق نهبهم لثروات الشعوب الإسلاميّة، فجاء إمامنا ليُعيد للإسلام روحه، ويحتل موقعه في دائرة التفكير الإنساني والساحة السياسيّة العالميّة[1].

---

(1) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ

لقد أحيا الإمام الحقائق المنسيّة للإسلام، ورفع شعار العدالة الإسلاميّة، وجاهر بمخالفة الإسلام للعنصريّة والتفرقة بين الطبقات، واستحواذ الارستقراطيّة والإقطاعيين. ولقد كان الإمام العظيم سندًا لفئات المستضعفين والحفاة والمحرومين منذ اللحظة الأولَى وحتّى آخر يوم في حياته.

إنّ الإسلام يُعارض الفساد والظلم والتفرقة. لقد جاء الإسلام من أجل تحقيق الرفاهيّة للناس جنبًا إلى جنب الأمور الروحيّة والمعنويّة. وقد ظلّ الإمام يؤكد ذلك مرارًا وتكرارًا منذ بداية النهضة وحتّى قيام الحكومة الإسلاميّة، وأثبت للعالم الإسلاميّ كيف يُمكن للفقه الإسلاميّ (أي قوانين إدارة الحياة) والفلسفة الإسلاميّة (أي الفكر الصحيح والعميق والاستدلالي) والعرفان الإسلاميّ (أي الزهد والانقطاع إلى الله والتحرر من الأهواء النفسانيّة) أن تُسفر عن معجزة كبرى إذا أُنزِلَت مجتمِعَة إلى مُعترك الحياة العامّة. **لقد برهن الإمام الراحل عمليًّا على أنّ الإسلام السياسيّ هو بنفسه الإسلام المعنويّ.**

إنّ أعداء الإسلام وخصماء النهضة الإسلاميّة كانوا في عصر الاستعمار، وما زالوا حتّى الآن يرددون في دعاياتهم: أنّ الإسلام المعنويّ والأخلاقيّ شيء بينما الإسلام السياسيّ شيء آخر[1].

لقد اعتمد الإمام على الإسلام ولم يكُن ليكتفي بالاسم فقط،

(1) المناسبة: البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 21 ذي القعدة 1409 هـ.

بل أصرّ على أن تحكم القوانين الإسلاميّة كافة مرافق الأجهزة الحكوميّة. وكان هذا عملًا بعيد المدى، والإمام على علم بعدم تحقق هذا المبنى على المدى القريب، لكنّه شقّ الطريق وانطلق في حركته وحدد مسيرها، فأدرك الجميع وجوب التحرّك باتجاه الأحكام والتعاليم الإسلاميّة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة وتحقيق البناء الإسلاميّ للنظام والمجتمع؛ كي يتسنّى لهم إقرار العدالة واقتلاع جذور الفقر والفساد والتعويض عن الآلام الّتي نادى بها هذا الشعب.

ولقد كان الإمام عالمًا بأنّنا لو تمسّكنا بالإسلام فإنّ العزة في الدنيا والرفاه المادّي والاقتدار السياسيّ والاستقرار والأمن ستكون حليف الشعب، لذلك فقد عمد الإمام إلى ترسيخ عنصر الإسلام داخل نسيج النظام الإسلاميّ وهذا الصرح الشامخ المتماسك[1].

فما لا يُمكن أن يُنكره أحد ولا يُمكن لأي منصف أن يُنكره، هو أن إمامنا العظيم أعطى للإسلام والمسلمين القوّة والكرامة. إن أعداء الإسلام كانوا يريدون الإسلام ضعيفًا. هؤلاء كانوا يُحاولون إزالة الإسلام عن الساحة، بل عن أذهان الشعوب الإسلامية، - ناهيك عن غيرهم -. وللأسف قد نجحوا إلى حد كبير. إنّ الحكومات الفاسدة والتابعة تعاونت بشكل كامل في هذه السياسة الشريرة مع الاستكبار والشبكة الدوليّة لأعداء الإسلام.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 11 ربيع الأوّل 1422 هـ.

إنّ سماحة الإمام بهذه الثورة أعطى المسلمين نشاطًا، وأحيا الإسلام. إنّ الإسلام اليوم في كثير من البلدان هو الأمل والأمنية للأجيال الشابة الناهضة المتنورة. فعلى سبيل المثال فلسطين الحبيبة. منذ سنوات قد جرى الحديث والنضال باسم فلسطين، لكنّه فشل ولم ينجح. بينما الشعب الفلسطينيّ اليوم يُناضل ويُقاوم باسم الإسلام. لذا فإنّ النضال خرج من شكل المنظمات والجماعات والشخصيّات والزعامات إلى عامّة الناس. إنّ مثل هذا النضال لن يفشل أبدًا. إذا استمر النضال الشعبيّ لا شك أنّه سينتصر في نهاية الأمر. وهذا إنّما كان ببركة الإسلام الّذي أحيا اسمه الإمام، والضمير الإسلاميّ الّذي أيقظه لدى المسلمين.

اليوم في الدول الإسلاميّة في شمال أفريقيا هناك جماعات تُناضل باسم الإسلام وبهدف إقامة نظام إسلاميّ، وقد أحرزوا تقدمًا أيضًا. فهل خطر هذا الأمر في بال أحد قبل نهضة الإمام؟ لقد استيقظ المسلمون في شرق العالم الإسلاميّ وغربه.

إنّ الأقليّات المسلمة، في الدول الأوروبيّة وغير الأوروبيّة ذات سيادة الكفر والإلحاد، يشعرون بالهيبة. لقد أحيت [نهضة الإمام] الهوية والهيبة الإسلاميّة بين المسلمين. وهذا إنّما هو ببركة الإمام وحركته العظيمة[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 ذي القعدة 1411 هـ.

إرجاع روح العزّة والكرامة للمسلمين

إنّ عمل الإمام الثاني والكبير يتجلّى في إرجاعه روح العزّة والكرامة للمسلمين. لا أن يتداول الإسلام في المباحث والتحليلات الجامعيّة والاجتماعيّة وفي الحياة فحسب، بل لقد نجم عن نهضة الإمام الكبرى شعور المسلمون في كل مكان بعزّتهم وهوّيتهم. لقد أخبرني أحد المسلمين من دولة كبرى يشكّل المسلمون فيها أقلية، قائلًا: قبل الثورة الإسلاميّة، كُنّا نُخفي هويتنا الإسلاميّة، وكانت ثقافتنا المحليّة تقضي على الجميع، انتخاب اسم محلّي، وكانت الأسر المسلمة تنتخب أسماء إسلاميّة لأبنائها ولكنّها كانت متداولة سرًّا حيث لا يجرؤ أحد على إظهار تلك الأسماء حياءً، ولكنّ الّذي حدث بعد ذلك أنّهم أصبحوا يفتخرون بتلك الأسماء ويعتزون بها بمجرّد انتصار الثورة الإسلاميّة، فإذا سُئِلَ أَحدُهم عن اسمه ذكر اسمه الإسلاميّ باعتزاز[1].

ففي كل موضع أُستخدم هذا العلاج - أي الثقة بالنفس والاعتماد على الذات والعودة إلى الإسلام - وبأي قدر كان؛ تعرقل عمل القوى العظمى وتسارعت حركة الشعوب بنفس ذلك المقدار.

إنّ العلاج الّذي وضعه إمامنا الكبير عزّز مكانة المسلمين في أيّة نقطة كانوا من العالم، وجعلهم يسشعرون العزّة أينما كانوا.

---

(1) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

كان المسلمون يشعرون يومًا بالخجل من الانتماء إلى الإسلام، إلاّ أنّ المسلم يفتخر اليوم بإسلامه ويعتز بانتمائه إليه، وهذا من افرازات حركة إمامنا الكبير[1].

الشعور بالهويّة الإسلاميّة

أمّا العمل الثالث الهام الّذي أنجزه الإمام، فهو بث روح الشعور بإدراك الأمة الإسلاميّة لدى المسلمين. وقبل هذا لم يكن لديهم شيء باسم الأمة الإسلاميّة، أو لم يكن بهذا المستوى.

أمّا اليوم فإنّ جميع المسلمين من أقاصي آسيا إلى قلب أفريقيا وفي كل أنحاء الشرق الأوسط وفي أوروبا وأمريكا، يشعرون بانتمائهم إلى أمّة عالميّة عظيمة واحدة، هي الأمّة الإسلاميّة. لقد بعث الإمام هذا الشعور المتأجج في نفوس المسلمين جميعًا بالنسبة للأمّة الإسلاميّة، وهذا يُشكل أمضى أسلحة الدفاع عن الكيان الإسلاميّ في مواجهة الاستكبار العالمي[2].

إنّ هذا [المشروع] جعل جميع المسلمين في كلّ أنحاء العالم، يشعرون بالهويّة والشخصيّة. بعد أن جرت محاولات طوال سنوات مديدة لسحق الهويّة الإسلاميّة ونسفها، جاءت هذه الثورة وانتصبت

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السابعة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 18 محرم 1417 هـ.

(2) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

القامة الشامخة لإمامنا الكبير، أمام أنظار المسلمين في العالم؛ فشعر الجميع أنّهم اكتسبوا هويّة وشخصيّة وأصالة.

وهذا ما أدّى إلى بروز علامات صحوة المسلمين في شرق العالم الإسلاميّ وغربه. استعاد الشعب الفلسطينيّ أنفاسه، بعد عشرات الأعوام من الإخفاق. واستعاد الشباب في البلدان العربيّة معنويّاتهم، بعد هزيمة حكوماتهم في ثلاث حروب مع الكيان الصهيونيّ، وقد اعتراهم اليأس والخيبة. هذه أمور تتعلّق بالعالم الإسلاميّ ولا تختصّ ببلادنا.

وبدأت الشعوب المسلمة - من أفريقيا إلى شرق آسيا - تفكّر بتأسيس نظام إسلاميّ، وحكومة إسلاميّة وفق صيغ ومعادلات شتّى؛ وليس بالضرورة وفق معادلة نظام الجمهوريّة الإسلاميّة عندنا. لكنّهم بدأوا يفكّرون بسيادة الإسلام في بلادهم. وقد نجح بعض البلدان، والبعض ينتظرهم مستقبل واعد من الحركات الإسلاميّة.

ونزل المثقّفون في العالم الإسلاميّ إلى الساحة بأمل جديد. تغيّرت معنويّات الشعراء والفنّانين والكتّاب الّذين كانوا يتحدّثون بيأس ويشعرون بالهزيمة، بعد انتصار الثورة الإسلاميّة وعقب حركة الإمام الجليل العظيمة وصمود هذا الشعب؛ وتبدّلت لهجة كلامهم، وأشعارهم، وكتاباتهم، واصطبغت بلون الأمل. وهذه حكاية طويلة على كلّ حال[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2009 م.

القضاء على الحكومة الملكيّة

رابع انجازات الإمام العظيمة هو قضاؤه على أكثر الأنظمة قذارةً وفسادًا وأكثرها رجعيّة وتبعيّة في المنطقة، أي قضاؤه على الحكومة الملكيّة في إيران. وهذا من أكبر الأعمال الّتي يُمكن للمرء أن يتصورها. لقد كانت إيران تُمثّل أكبر قلاع الاستعمار في منطقة الخليج الفارسي والشرق الأوسط، ولقد تهاوت هذه القلعة على يد إمامنا[1].

إنّ خريطة الإمام وعمله الأصليّ كان بناء نظام مدني سياسيّ على أساس العقلانيّة الإسلاميّة. وكانت المقدّمة اللّازمة لهذا العمل إزالة النظام الملكيّ الّذي كان في الوقت عينه فاسدًا وتابعًا وديكتاتوريًّا! لقد كان للنظام الملكيّ هذه الصفات الثلاثة: لقد كان مبتلى بأنواع الفساد الأخلاقيّ والماديّ وغير ذلك وكذلك كان تابعًا للقوى الأجنبيّة، لإنجلترا حينًا ولأمريكا حينًا آخر، لقد كان مستعدًّا دائمًا للتخلّي عن مصالحه ومصالح البلاد من أجل مصالح الأجانب وكذلك كان نظامًا ديكتاتوريًا ومستبدًّا. لم تكن الناس تريد النظام الملكيّ ولا ترغب به. كلّ واحدة من هذه الصفات تحتاج إلى كتب ومجلّدات لتبيانها.

إنّ المقدّمة اللازمة لذلك العمل الكبير الّذي أراد الإمام أن يقوم به هي القضاء على هذا النظام الفاسد والتابع للديكتاتور. لقد

(1) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

شمّر عن ساعدَي الهمّة وتمّ القضاء على النظام. ليست القضيّة في بلدنا أن يسقط النظام الديكتاتوري ليحلّ محله نظام ديكتاتوري آخر أو شبه ديكتاتوري. المسألة الأساس هي أنّ تلك الصفات والخصوصيّات التي كانت عند النظام الملكيّ كان يجب أن تزول ويُقضى عليها ولقد أزالها الإمام العظيم واجتثّها من الأساس. ولقد كانت خطب الإمام وإرشاداته وعمله وسلوكه في هذا الاتّجاه[1].

تأسيس حكومة على أساس الإسلام

خامس انجازات الإمام هو تشكيله لحكومة تنهض على أساس الإسلام، وهو ما لم يخطر على بال المسلمين وغير المسلمين. لم يكن ليحلم به حتّى بسطاء المسلمين.

ومن هنا فإنّ ما قام به الإمام قدس سره يمثّل في الواقع معجزة كبرى حيث جعل من هذا التخيل الأساطيوري حقيقة ماثلة على أرض الواقع[2].

واعتمد الإمام الخمينيّ قدس سره على عناصر ومبادئ جوهريّة خلال عملية بنائه وهندسته لنظام الجمهوريّة الإسلاميّة. وهذه العناصر من شأنها أن تجعل النظام أكثر تماسكًا.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2014 م.

(2) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

وقد استخدم هذه العناصر بكل مهارة لترسيخ هذا الصرح الشامخ من الداخل. وهذه العناصر الجوهريّة عبارة عن: **الإسلام، والشعب، وحكومة القانون، ومقارعة الأعداء.** ففي إقامته لهذا النظام الرفيع بدلًا من النظام الملكي المتهرئ توخّى إمامنا العظيم الدقّة على أكمل وجه في استخدامه لهذه العناصر والمفاصل، وكان متمسّكًا ملتزمًا بها في عمله وثابتًا عليها في بياناته ومنطقه وتعاليمه.

وما اهتمّ به الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ هو النظم والقانون؛ فالإمام بادر إلى تعيين الحكومة قبل أن تبلغ الثورة مرحلة الانتصار، وهذا ما تفتقر له الثورات أو الانقلابات الّتي سمّيت باسم الثورات في العالم، والّتي عجّت بها العقود الوسطى من القرن المنصرم؛ فإذا ما وقعت ثورة في بلد ما - ثورة حقيقيّة كانت أم انقلابًا يتخذ مسمّى الثورة - فلن يبقى خبر عن الحكومة والتنظيمات الحكوميّة والقانون لفترة طويلة، حيث تمسك مجموعة من الأفراد - باعتبارهم القائمين على الثورة - بزمام الأمور في البلد فيمارسون ما يحلو لهم وما يشتهون.

بَيْدَ أنّ الإمام لم يسمح بأن تشهد الثورة الإسلامية مثل هذا الوضع، إذ قام بتعيين الحكومة قبل أن تنتصر الثورة؛ كي يسود النظام[1].

[هذه] الحكومة [هدفت] إلى إيجاد المجتمع المثالي الّذي

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية عشرة لرحيل الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ، الزمان: 11 ربيع الأوّل 1422 هـ.

يقوم على أساس الإسلام والّتي لم يوجد لها مثيل على طول التاريخ إلاّ في صدر الإسلام أو في فترات استثنائيّة ونادرة من تاريخ الأمّة الإسلاميّة.

وعند المقارنة سيتبيّن لنا البون الشاسع بين النظام الإسلاميّ الّذي أقامه الإمام وبين الأنظمة الّتي تدّعي قيادة العالم؛ لأنّ الجهاز السياسيّ في هذا النظام هو جهاز سليم وغير ملوّث ويتألّف من أُناس ليسوا من طلاّب الدنيا وهدفهم الأوّل والأخير هو الإسلام والعمل على تنفيذ الأحكام الإلهيّة، وهدفهم الأكبر من وراء كلّ ذلك هو نيل رضا اللّه سبحانه وتعالى[1].

تأسيس نهضة إسلاميّة في العالم

سادس انجازات الإمام هو إحداثه لنهضة إسلاميّة في العالم. ففي كثير من الدول بما في ذلك الدول الإسلاميّة كانت الفصائل المعارضة تنظم ألوية اليسار عندما تُريد دخول معترك الصراع، ولكن وبعدما انتصرت الثورة ظهرت الحركات التحرريّة الّتي اتخذت من الإسلام منطلقًا لها.

واليوم وفي كل بقاع الأمّة الإسلاميّة نجد الجمعيّات والفصائل الّتي يقوم نشاطها على أساس الحريّة ومواجهة الاستكبار، تتخذ

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 24 ذي الحجة 1414 هـ.

الفكر الإسلامي قاعدة وأساسًا وأملًا لانطلاق عملها ونشاطها[1].

إنَّ قلوب الشباب، وطلبة الجامعات والمفكرين، والنخب في العالم الإسلاميّ متعلّقة بالأهداف الإسلاميّة، الّتي يعتقدون بقيمتها، ويسعون من أجل تحقيقها.

وفلسطين اليوم هي أحد النماذج، وكذلك العراق، وهناك نماذج كثيرة في شمال أفريقيا. ولبنان أحد النماذج أيضًا. وإنَّ الهدف الّذي تسعى لتحقيقه شعوب هذه البلدان بقلوب مفعمة بالأماني والآمال هو الإسلام والاستقلال.

هذه ثمرات الشجرة الطيّبة الّتي استطاع غرسها هذا الرجل العظيم والعبد الصالح، نتيجة لنهضته وما يمتلكه من خصائص[2].

وهذا العصر يجب أن يُطلق عليه: «عصر الإمام الخمينيّ»، وسمته أنّه يعبّر عن يقظة الشعوب وجرأتها وثقتها بنفسها، في قبال منطق التسلّط للقوى العظمى، وكسر أصنام القوى الظالمة، وتنامي جذور القدرة الواقعية لبني الانسان، وظهور القيم المعنوية والإلهية[3].

واليقظة سرت اليوم في قلوب كلّ المسلمين، وفي كلّ مكان،

(1) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة السابعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 7 جمادى الأولى 1427 هـ.

(3) المناسبة: الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 6 ذي القعدة 1410 هـ.

ببركة ذلك الإنسان الوحيد في عصره، وراحت قصور الإمبراطوريات التسلُّطية الظالمة تهتزُّ وتسير نحو الفناء، وأدركت الشعوب قيمة النهضة الشعبيّة، وراحت تجرِّب مسألة انتصار الدم على السيف، وهي كلّها في كلّ مكان تركِّز أنظارها على الشعب الإيراني المقاوم الّذي لا يعرف التعب أو الكلل.

إنّنا نعلن أمام جميع الشعوب وبكلّ صراحة، أنّ فكرة انتهاء عصر الإمام الخمينيّ والّتي يطرحها العدو بمئات الأساليب والتعابير، إنَّما هي خداع ومكر استكباريّ لا غير، وإنّ الإمام الخمينيّ سيبقى رغم أنف أمريكا وأعوانها بين شعبه ومجتمعه حاضرًا بكلّ قوّته، وإنّ عصر الإمام الخمينيّ مستمرّ وسيبقى مستمرًّا دائمًا: نهجه نهجنا، وهدفه هدفنا، وإرشاداته المشعل الوضّاء الّذي يضيء لنا السبيل[1].

وضع رؤية جديدة في الفقه الشيعيّ

سابع أعماله الكبرى رؤية جديدة في الفقه الشيعي. إنّ لفقاهتنا دعائم قويّة غاية في الإحكام، والفقه الشيعي يُعدّ في الطليعة من حيث أصوله ومبانيه. لقد جاء الإمام ليفتح بابًا واسعًا ينفتح على العالم والإدارة والحكم، وأبان لنا أبعادًا جديدة لم تكن واضحة قبل ذلك[2].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 6 ذي القعدة 1410 هـ.

(2) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

لقد نحا الإمام القائد مُذ كان في المنفى، بالفقه الشيعيّ منحًى اجتماعيًّا وسياسيًّا ليجعل منه فقهًا قادرًا على إدارة نظام الحياة لدى الشعوب، ويُلبّي متطلّبات الشعوب صغيرها وكبيرها. أي أنّه عمل على الضد ممّا وصفناه بالتحجّر. وحتّى في السنوات الأخيرة من عمره الشريف كان يُعير أهميّة فائقة حتّى للمسائل الّتي تبدو جُزئيّة في الظاهر؛ بسبب كونِها شاخصًا في توجيه فقهاء الشيعة نحو خط ووجهة معيّنة.

حصل هذا في حياة الإمام القائد، فأوضح لمن يُريد إدارة النظام السياسيّ أنّ الفقه الّذي يُراد له إدارة حياة شعب أو مجموعة من الشعوب لا بُدّ وأن تكون له القدرة على استيعاب الظروف الزمانيّة وتلبية كل حاجة في حينها، وليس بإمكانه أن يترك أيّة ثغرة في المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة وكل جوانب الحياة الإنسانيّة بلا جواب[1].

وضع أسس أخلاقيّة للحكّام

ثامن أعماله، هو إبطاله الأعراف المغلوطة على صعيد السيرة الأخلاقيّة الذاتيّة للحكّام. فلقد أصبح من الطبيعي جدًّا في دنيا اليوم أن يعيش الزعماء بشكل مميّز، وأضحى من حقّهم التكبر على غيرهم، وأن يعيشوا حياة الإسراف والتبذير في إطار فاضح من

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 28 محرم 1418 هـ.

الأنانيّة والغطرسة. وهذا ما نشاهده فيمن يرأسون الأمور في عالم اليوم. فحتّى في الدول الثوريّة يُمارس الثوار - الّذين بالأمس كانوا يعيشون بالخيام وفي الأوكار - نفس هذا الأسلوب بمجرد وصولهم إلى الحكم وتسلمهم سدّة الرئاسة، إذ نشهد تغيّرًا هائلًا في سيرتهم، فتظهر سيرة جديدة تتلاءم ومناصبهم الجديدة. ولقد شهدنا ولمسنا هذا من قرب وهو ليس بالأمر العجيب لدى الشعب.

وجاء الإمام ليُبطل هذا الاعتقاد المغلوط وليثبت أنّ بإمكان القائد الّذي تُحبّه أمّته وغيرهم من مسلمي العالم أن يعيش حياة الزهد والبساطة، وأن يعيش في بيت صغير ويستقبل الناس في حسينيّة بدل القصور المشيّدة ويُعامل الناس بأخلاق الأنبياء.

لو كانت قلوب الحكّام ومن بيدهم أزمّة الأمور مشرقة بنور المعرفة والحقيقة، لنبذوا الإسراف والارستقراطيّة والتكبّر والاستكبار، ولم تعدْ من اللوازم الّتي لا بُدّ منها للزعامة، وإنّه لمن معجزات ذلك العظيم أن تجلّى في نفسه وفي نفوس المسؤولين من حوله، نور المعرفة والحقيقة[1].

فالإمام أوصانا [نحنُ المسؤولين] بأن لا نغترّ بأنفسنا وأن لا نعدّها أعلى من الناس، وأن لا نتعالى على الانتقاد ونغفل عن العيوب. لقد سمع جميع المسؤولين رفيعي المستوى في بلدنا هذا الأمر من الإمام بأنّ علينا أن نكون مستعدّين، إذا انتُقدنا لا

(1) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

نقول إنّنا أرفع من أن يكون لدينا عيب أو يُوجّه إلينا نقد. وهكذا كان الإمام. فهو قد كرّر في كتاباته وخصوصًا في أواخر عمره الشريف وفي تصريحاته إنّني أخطأت في القضيّة الفلانية. أقرّ بأنّه قد أخطأ في القضيّة الفلانيّة؛ ومثل هذا الأمر يتطلّب عظمة كبيرة. فروح أي إنسان ينبغي أن تكون عظيمة لكي تتمكّن من القيام بمثل هذا الأمر حيث تنسب الخطأ والاشتباه إلى النفس. هذه هي روحانيّة الإمام وأخلاقه وهي أحد الأبعاد المهمّة للدرس الّذي عَلَّمَنا إيّاه الإمام[1].

وقد أثبت المسؤولون في النظام الإسلاميّ خلال هذه السنوات المليئة بالصعاب الّتي أعقبت انتصار الثورة الإسلاميّة أنّهم اقتبسوا من نور ذلك الوجه الوضّاء، مما جعل بعضهم يتعالى حتّى على الوصف.

فمن النادر أن تجدوا في عالم اليوم رئيس جمهوريّة أو رئيس قوّة قضائيّة أو تشريعيّة أو أحد القادة العسكريين أو الميدانيين لا تكون الأهداف الشخصيّة أو الأهواء النفسيّة هي الحاكمة على ما يقومون به من أعمال وينفّذونه من خطط باستثناء المسؤولين في إيران الإسلاميّة.

إذن فالخصوصيّة الأُولى لهذا الجهاز السياسيّ هي إخلاص القائمين على إدارته. أمّا الخصوصيّة الأُخرى الّتي يتمتع بها هذا

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 1 رجب 1432 هـ.

الجهاز السياسيّ فهي الاستقلاليّة التامّة وعدم الخضوع لأيٍّ من القوى الاستكباريّة في العالم وعدم دخول الخوف إلى قلوب القائمين عليه من أيّة قوة والإصرار على عدم إعطاء أهميّة تذكر لقرارات القوى العالميّة الجبّارة الّتي تمتلك جميع وسائل القوة والنفوذ. وهذه من الحالات النادرة في العالم والّتي يتمتع بها جميع المسؤولين في الجمهوريّة الإسلاميّة المباركة.

أمّا النموذج الأكمل لهذه الحالة أيضًا، فهي ذلك الرجل العظيم الّذي نهل الآخرون من منهله العذب في هذا المضمار. هذه هي الخصائص الّتي يمتلكها الجهاز السياسيّ للنظام الّذي أوجده إمام الأُمة الراحل قدس سره.

أمّا الخصوصيّة الثالثة الّتي يمتلكها هذا النظام فهو المشروع الّذي طرحه لإدارة شؤون الحياة والّذي يعتبر استثنائيًّا بين المشاريع والأطروحات الّتي جاء بها المصلحون في العالم؛ لأنّ هذا المشروع يقوم على أساس الإسلام ويهدف إلى بناء الدنيا والآخرة معًا مما يعني أنّ النظام الإسلاميّ لا يكتفي بإعمار الدنيا للإنسان فقط، بل يعتبر بأنّ الدنيا والآخرة متلازمتان ولا بُدّ من إصلاحهما معًا ولا بُدّ أن يعيش الإنسان مرفّهًا تحت ظلّ الحكومة الإسلاميّة[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الخامسة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 24 ذي الحجة 1414 هـ.

بث روح الثقة في النفس

وتاسع أعماله يتجلّى في بعثه لروح الثقة والاعتداد. فالحكومات الاستبداديّة والفرديّة لسنين متطاولة، قد جعلت من شعبنا شعبًا ضعيفًا خانعًا؛ الشعب الّذي يزخر بكل القابليّات والاستعدادات الاستثنائيّة، وذو الأمجاد العلميّة والسياسيّة في التاريخ الإسلامي.

لقد عملت القوى الكبرى - الانجليز فترة ثم الروس والدول الأوروبيّة الأخرى وأخيرًا أمريكا - على إهانة شعبنا، حتّى استسلم الشعب إلى واقعه فعدّ هذا قدرًا، وأنّه لا حول له ولا قوّة في مضمار الأعمال الكبرى والبناء والإبداع، وأنّه لا بُدّ له في ذلك من أسياد يسوقونه حيثما يشاؤون، وبهذا قتلوا في الشعب روح الكبرياء، إذا بالإمام يخرج ليبعث المشاعر هذه من جديد.

في الوقت الّذي يتبرّأ فيه شعبنا من كل النعرات الوطنيّة - الّتي عمل نظام الشاه المشؤوم على ترويجها فيما مضى - فإنّه يشعر بعزّته وكرامته. إنّ شعبنا اليوم لا يخاف ولا يرهب التواطؤ والمؤامرات المشتركة الّتي تُحاك ضده من الشرق والغرب ولا يخاف الرجعيّة. إنّ شبابنا يشعر بأنّه قادر على صناعة بلده، وإنّ شعبنا يشعر باقتداره الكامل أمام عنجهيّة الشرق والغرب. وهذه هي روح العزّة والكبرياء الوطنيّة والأمجاد الأصيلة الّتي بعثها الإمام في روح الشعب[1].

(1) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

انتزع الإمام الخمينيّ قدس سره من الشعب الإيرانيّ الشعور بالهوان والـذلّ، وأخـرج هـذه المشاعر من ساحة روحـه. هـذه مسألة على جانب كبير من الأهميّة. كان يشعر شعبنا منذ مئة وخمسين سنة أو مئة سنة بالذلّ والهوان في داخله بسبب عوامل عديدة. كان يشعر بالدونيّة والنقص؛ ابتداءً من حروب العهد القاجاري وتلك الهزائم الصعبة وفقدان مدن عديدة، إلى العهد البهلوي وزمن رضا خان[1] وتلك الدكتاتوريّة والقمع الشديد للشعب الّذي أحصى على الناس أنفاسهم. ثم الفترة التي تلت عهد البهلوي الأول، أي في زمن [ابنه] محمد رضا، فمع حضور الأمريكيّين وتشكيل منظّمة الأمن المعروفة باسم السافاك[2] وسلوكها العنيف مع الناس، شعر الناس أنّهم لم يعد لديهم أيّة حيلة. شعر الشعب الإيراني بالهزيمة في عدّة قضايا مهمّة. ابتداءً من قضيّة الحركة الدستوريّة حيث هُزم الشعب الإيراني بعدما انتصر، وإلى قضيّة النهضة الوطنيّة الّتي قام فيها الشعب

(1) رضا بهلوي (1878م - 1944م)، مؤسس الدولة البهلويّة، حكم ما بين أعوام 1925م و1941م قام بخلع آخر شاه من الأسرة القاجارية الشاه أحمد شاه قاجار في 1925م وأنهى حكم القاجاريين. خلفه ابنه محمد رضا بعد أن أجبره غزو بريطاني سوفييتي مزدوج في عام 1941م على التنحي.

(2) السافاك اختصار «منظمة المخابرات والأمن القومي» أُسس جهاز السافاك في إيران بمساعدة وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A) في عام 1957م وكانت مهمّة هذا الجهاز هي قمع المعارضين لشاه إيران ووضعهم تحت المراقبة، حيث استخدموا ضد المعارضين من أبناء الشعب الإيراني كافة أنواع التعذيب والتجويع داخل السجون بالإضافة إلى التصفية الجسديّة لقادة المعارضة. كان الجنرال «تيمور بختيار» هو أول مدير للسافاك، ثم استبدل بالجنرال «حسن بكراوان» الّذي تمّ إعدامه على يد الحرس الثوري الإيرانيّ بعد انتصار الثورة الإسلاميّة. وتمّ استبدال الجنرال «بكراوان» عام 1965م بالجنرال «نعمت الله نصيري» المقرب من الشاه والذي قام السافاك تحت إدارته بتصعيد القمع والإرهاب ضد الحركات الإسلاميّة داخل البلاد.
بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في يناير 1979م، استهدف الحرس الثوريّ 3000 من موظفي السافاك الأقوياء، فقد أعدم العديد من المسؤولين الكبار بالجهاز، وقام الإمام الخميني بحل السافاك نهائيًا.

بتحرّك جبّار إلّا أنّ المتصدّين والمسؤولين لم يستطيعوا الحفاظ على التحرّك، فهُزم الشعب. وبعد ذلك، ابتدأت فترة استبداد عصيب منذ العام 1954 إلى العام 1979م، استولى على قلوب الجماهير طوال أربع وعشرين سنة، إلى درجة أنّه سلب الشعب الروحيّة والأمل.

من جهة أخرى كان المثقّفون المتغرّبون الّذين شارك الكثير منهم في العمل في أجهزة الحكومة الظالمة، قد أفهموا الناس من خلال كلامهم ومن خلال أعمالهم أنّهم غير قادرين وغير كفوئين، ولا يستطيعون فعل أي شيء ولا بُدّ لهم من التقليد. كانوا يقولون لهم: لا بُدّ لكم من التقليد في العلم، وفي الصناعة، وفي الثقافة، وفي الملابس والأزياء، وفي الطعام، وفي الكلام؛ حتّى بلغ بهم الأمر أن قالوا ذاك مرة: يجب تغيير الخط الفارسي! لاحظوا كم يجب أن يبتعد الشعب عن استقلاله وعزّته حتّى يتجرّأ البعض على القول له إنّه يجب أن يُغيّر خطه.

الخطّ الفارسي الّذي كُتب به تراثنا العلميّ مدّة ألف سنة، قالوا يجب تغييره واستعارة خط الأوروبيّين وتقليده. لقد بلغ بهم الأمر إلى هذا الحد.

جاء الإمام وانتزع روح الهوان والدونيّة هذه، وبثّ في الشعب روح الثقة بالذات طوال خمسة عشر عامًا من نهضته حتّى انتصار الثورة، ومنذ انتصار الثورة إلى عشرة أعوام من عمره المبارك بنحوٍ آخر [يبثّ في الشعب]: أنتم قادرون، ونحن قادرون، أنتم عظماء ومقتدرون.

هذه الثقة بالذات الوطنيّة أحد ركنين أساسيّين لتقدّم أي بلد؛

والركن الآخر هو الإمكانات الماديّة. بيد أنّ الإمكانات الماديّة لا تكفي. قد يكون للبلد إمكانات ماديّة كبيرة لكنّه لا يبلغ النمو والرقي والرفعة، فلا يستطيع الشعب بلوغ مدارج العزّة والاقتدار. لقد كان لنا قبل الثورة هذا النفط الّذي لدينا الآن نفسه، والغاز نفسه، وهذه المناجم الهائلة من الفلزات القيّمة نفسها، وهذه المواهب والكوادر البشريّة المتألّقة نفسها، ومع ذلك كنّا شعبًا من الدرجة الثالثة، وشعبًا مجهولًا في العالم، ومهانًا من قبل القوى الكبرى، وخاضعًا لجور حكومة فاسدة عميلة مرتبطة بأعداء الشعب.

إذًا، الإمكانات الماديّة لا تكفي، بل لا بُدّ من عناصر أخرى؛ عناصر معنويّة. من أهم تلك العناصر: الثقة بالذات والاعتماد على النفس، وأن يؤمن الشعب أنّه قادر. لقد أوصلنا إمام الأمّة إلى هذا الإيمان: أنّه يُمكن [لهذا الشعب] الصمود والمقاومة؛ وأنّه قادر على تحرير بلده، وعلى حماية نظام الحكم الّذي يريده والمحافظة عليه بكلّ اقتدار؛ وكذلك على التأثير في العالم وفي السياسات الدوليّة، وهذا ما حصل فعلًا[1].

إنّ شعبنا من خلال الشعور بالعزّة الّذي تعلّمه من الثورة ومن الإمام، استطاع أن يكتشف نفسه، واكتشف قدراته، وكانت النتيجة أنّنا شاهدنا بأمّ العين تحقّق الكثير من الوعود الإلهيّة في هذه العقود الأخيرة، فالأشياء الّتي كُنّا نقرأ عنها في التاريخ، ونراها في

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة العشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2009 م.

الكتب، إذ بنا نشهدها أمام أعيننا، انتصار المستضعفين على المستكبرين، وكيف أنّ قصور المستكبرين الرائعة بالظاهر بدت مبنيّة على شفا جرف هار، وغيرها الكثير من الحوادث الأخرى الّتي شاهدناها في هذه السنوات[1].

شعبنا كان مجهولًا وتابعًا لسياسة القوى الأجنبيّة، وينفعل تجاه قرارات الدول المتسلّطة، كأمريكا تارةً وقبل ذلك بريطانيا والروس تارةً أخرى. إلّا أنّ هذه الشجرة الطيّبة[2] حوّلتنا إلى أقوى الشعوب المؤثّرة في العالم، وأقوى البلدان والأمم في هذه المنطقة؛ وهو ما يعترف به حتّى أعداؤنا.

لقد كان شعبنا مرتبكًا ليس له إيمان أو معرفة بإمكاناته الذاتيّة، ومتعلّقة قلوبنا ومخدوعة ببهرجة الأجانب؛ لكن هذه الشجرة الطيّبة حوّلتنا إلى شعب مبتكر له ثقة بنفسه، يمتلك أفكارًا جديدة ومعاصرة في مجالات مختلفة.

ثمرات هذه الشجرة الطيّبة اليوم، هي آلاف المحققين والباحثين، وآلاف العلماء والمفكرين، وآلاف العقول المفكّرة المنتجة الّتي يُشار إليها بالبنان في مختلف المجالات، وعلى جميع الأصعدة، سواء كان ذلك في مجال العلوم الإنسانيّة أو التجريبيّة، أو المسائل الاجتماعيّة أو السياسيّة أو الدينيّة[3].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الثالثة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 3 حزيران 2012 م.

(2) المقصود من الشجرة الطيبة، الجمهوريّة الإسلاميّة الّتي أسسها الإمام الخمينيّ قدس سره.

(3) المناسبة: الذكرى السنويّة السابعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 7 جمادي الأولى 1427 هـ.

إرساؤه لمعادلة لا شرقيّة ولا غربيّة

ومن أعماله الكبرى إرساؤه لمعادلة جديدة لم تكن موجودة من قبل؛ أثبت على أرض الواقع إمكانيّة العيش في ظلال: «لا شرقيّة ولا غربيّة»، فيما كان الآخرون يجعلون من الاعتماد على إحدى الكتلتين قدرًا محتومًا، وأنّه لا بُدّ من جلب رضا إحدى الكتلتين، ولم يخطر ببال أحد أنّ بإمكان شعب ما أن ينهض ليقول للشرق: لا، وللغرب: لا، فلمّا جاء الإمام جعل من ذلك الحلم حقيقة باهرة[1].

فكانت براعة إمامنا العظيم في أنّه وضع إطارًا متماسكًا لهذه الثورة، ولم يسمح بذوبانها في بوتقة القوى والخطوط السياسيّة السلطويّة، فكان مغزى شعار «لا شرقيّة لا غربيّة جمهوريّة إسلاميّة» أو شعار «استقلال حريّة جمهوريّة إسلاميّة» - اللذين رسمتهما تعاليم الإمام وإرشاداته على شفاه الجماهير - أنّ هذه الثورة ترتكز إلى أصول ثابتة وصلبة لا صلة لها بالمبادئ الاشتراكيّة في المعسكر الشرقيّ يومذاك، ولا بأصول الرأسماليّة الليبراليّة للمعسكر الغربيّ.

وهذا هو السبب في ما أبداه الشرق والغرب من عداء وتزمّت إزاء هذه الثورة[2].

---

(1) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الثالثة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 22 ربيع الأوّل 1423 هـ.

تأسيس التعبئة

فن وإبداع الإمام الخمينيّ قدس سره هو أنّه أسس التعبئة من صلب الشعب. فإنّها ليست مؤسسة مفصولة عن الناس، وإنّما هي متكوّنة من مختلف شرائح الشعب الّذين ينتمون إلى هذه المنظومة في الجامعات والمزارع والأسواق والأجهزة المختلفة الحكومية وغير الحكوميّة. والتعبئة في الحقيقة تعتبر اصطفاءً خاصًّا من بين أبناء الشعب لتكون ممثلة عنه. وهذه هي ما أسّسها الإمام قدس سره، فتنامت وتوسّعت يومًا بعد يوم، وظهرت بصورة بارزة عظيمة مُذهِلة.

وإنّ الكثير من قادة الحرس الثوري الّذين تسمعون أو تقرأون عنهم ما يُثير الدهشة سواء من الشهداء أو الأحياء، هم من التعبويين الّذين نزلوا إلى ساحات الدفاع المقدّس في بادئ الأمر بهذه السمة، من دون أن يكونوا متفرّغين أو موظفين، فتفتّحت مواهبهم، وتبدّلوا إلى قادةٍ كبارٍ أمثال الشهيد «باقري» والشهيد «كاظمي» والشهيد «بروجردي» وغيرهم الكثير. هذا في ساحة الجهاد والمعركة. وكذلك الحال في ميدان العلم، فإنّ الكثيرين ممّن حقّقوا إنجازات كبيرة في ساحة العلم والتكنولوجيا، إمّا أن يكونوا منتمين إلى منظمة التعبئة، أو أنّهم تعبويّون في الحال الحاضر من دون أن تُسجَّل أسماؤهم في قائمة منظمة التعبئة، حيث يعتبرون أنفسهم من قوات التعبئة، من أمثال شهداء الطاقة الذرية - بمن فيهم «رضائي نجاد» و «أحمدي روشن» و «شهرياري» و «علي محمدي» وغيرهم - الّذين أدّوا دورًا بارزًا

في المسائل التقنيّة النوويّة الهامّة، وقد شاهدناهم عن كثب. وفي الحقيقة فإنّ هؤلاء جميعًا يدخلون في عداد العناصر التعبويّة[1].

تربية الكادر

لا يُمكنني الجزم بأن الامام الخمينيّ حينما بدأ جهاده في عام 1341 أو عام 1342 هـ ش [1962 ، 1963م] كانت لديه الكوادر اللازمة، إلا أنّه كان منكبًّا على إعداد ذلك الكادر. أنتم تعلمون أنّ الإمام كان شخصًا له مكانته العلميّة في الحوزة العلميّة في قم، وكانت تُحيط به ثُلّة من المؤمنين الكفوئين، فضلًا عمّا كان له من علاقات مع الطبقات والشرائح الأخرى.

لقد كان الامام من خلال كلماته وإرشاداته يُربّي ويهذّب الناس بالمعنى الحقيقي للكلمة، تربية فكريّة وروحيّة وأخلاقيّة. ومن الطبيعي أنّ الكادر الكفوء لا يُشترط فيه أن يكون ممّن درس العلوم الإداريّة أو السياسيّة، وإنّما هم الناس القادرون على فهم الأهداف على نحو صحيح، وتحديد السبل السليمة واتخاذ القرار الصائب والعمل وفق إجراءات صحيحة. وهذا ما يتحقق عادة من خلال التربية المتواصلة، وهو ما كان الإمام دائبًا عليه على نحو طبيعي في إطار الجماعة المؤيدة له، ولكن لا في صفّ دراسي بعينه، بل من خلال السلوك اليوميّ ومعالجة المواقف وعبر تصحيح التصرفات الخاطئة والتنبيه

(1) المناسبة: لقاء قوّات التعبئة على أعتاب يوم التعبئة، الزمان: 25 تشرين ثاني 2015 م.

إليها. والأهم من كل ذلك هو عمليّة إعداد الكادر الّتي كان الإمام يُمارسها على صعيد عموم الشعب، **فعمليّة إعداد الكادر عند الإمام تختلف عن عمليّة إعداد الكوادر الحزبيّة**، لأنّ الأحزاب تُعِدُّ أشخاصًا معيّنين للاضطلاع بمهام وأعمال معيّنة بينما كان الإمام يُربي الشباب ويمنحهم روح الثقة بالنفس. وكان منذ البداية يُركّز على الشباب بوجه خاص، وهذا تفكير أثبتت الأيام صحته.

ومن بعد انتصار الثورة بادر أشخاص من الجماعة الّتي كانت تُحيط بالإمام، وآخرون من خارج تلك الجماعة، وأمسكوا بزمام الأمور وبدأوا بتصريف الشؤون ومن خلال التغييرات والاصلاحات الّتي حصلت على مر الزمن. ولكن ينبغي الالتفات هنا إلى أنّ نهج الإمام كان واضحًا، وكان على بيّنَة من أمره ويعلم ما يجب عليه فعله؛ فكان يسير على ذات النهج الّذي سلكه الأنبياء، وهو نهج يتلخص في تزويد مخاطبيه بالإيمان والثقة العميقة إضافة إلى الوعي والبصيرة والفكر والتأمل. ومن الطبيعي أن يُسفر هذا الأسلوب عن ازدهار الطاقات وتربية الكوادر الكفوءة. ولم تكن ثمّة ضرورة تدعوه إلى إعداد دليل مسبق من قبل عشر سنوات يُحدد فيه إعداد شخص معيّن لمهمّة معيّنة، ولكن كان من الطبيعي أن تظهر أدّلة مطوّلة في هذا السياق[1].

(1) المناسبة: اليوم الثاني من عشرة الفجر المباركة، الزمان: 17 شوال 1419 هـ.

إنّ أعظم واجباتنا اليوم هو أن نستلهمَ الدروس من إمامنا العظيم. إنّ شخصيّة ذلك القائد الفذّ الّذي انتزع إعجاب العالم تتجلّى في كلماته وتعاليمه. وبالطبع فإنّنا جميعًا ما زلنا بعيدين عن اكتشاف كامل أبعاد هذه الشخصيّة العملاقة.

واجباتنا اتجاه خط الإمام الخميني قدس سره

إنّ أعظم واجباتنا اليوم - نحنُ الشعب الإيرانيّ وأنصار الإمام الخمينيّ قدس سره - هو أن نستلهمَ الدروس من إمامنا العظيم. إنّ شخصيّة ذلك القائد الفذّ الّذي انتزع إعجاب العالم تتجلّى في كلماته وتعاليمه. وبالطبع فإنّنا جميعًا ما زلنا بعيدين عن اكتشاف كامل أبعاد هذه الشخصيّة العملاقة، وبعيدًا عن كلّ أشكال المبالغة يُمكن القول إنّ أبعاد تلك الشخصيّة ما تزال حتّى الآن مجهولة لدينا[1].

ونحنُ لا نرفع اسم الإمام ونهجه لمجرّد المفاخرة، أو لجعله زينةً للجمهوريّة الإسلاميّة، بل الأسمى والأهم من ذلك أنّ الإمام هدانا إلى طريق، وحدّد لنا أهدافًا وبيّن لنا علامات نهتدي بها؛ كي لا نضلّ السبيل. فقد قامت حركة الإمام وثورته والنظام الّذي أسّسه، على تحقيق أهداف ونهج محدد. وعليه فإنّ نهج الإمام هو نهج الإيمان والعدالة والرَخاء المادّي ونهج العزّة.

وقد قطعنا العهد على مواصلة هذا الطريق وسنواصله بعون الله. وقد فتح الإمام هذا الطريق أمامنا، وحدّد لنا هذه الأهداف.

---

(1) المناسبة: البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 02 ذي الحجة 1409 هـ.

وقد عَمَد بإرادته القويّة وبمساعدة هذا الشعب إلى تجاوز أهم مرحلة في هذا الطريق الطويل، وأحدثَ نقلة نوعيّة في العالم الإسلاميّ[1].

[ومن أبرز واجباتنا]:

صيانة نهج وشخصيّة الإمام قدس سره من التحريف

غالبًا ما نستخدم عنوان ومصطلح التحريف في شأن تحريف المتون والنصوص، فهل بالإمكان تحريف الشخصيّات أيضًا؟

أجل، إنّ تحريف الشخصيّات يكمن في تجاهل الأركان الأساسيّة الّتي تتّسم بها شخصيّة ذلك الإنسان العظيم، أو تفسيرها على نحو مغلوط، أو تعريفها بصورة انحرافيّة وسطحيّة، وكل هذا يعود إلى تحريف الشخصيّة. فإن كان صاحب هذه الشخصيّة قدوة وإمامًا وقائدًا، فإنّ فعله وقوله سيمثّلان دليلًا ومرشدًا للأجيال الّتي تأتي بعده، وتحريفها يسبّب خسائر وأضرارًا فادحة.

لا ينبغي النظر إلى الإمام الخمينيّ بصفته مجرد شخصيّة تاريخيّة محترمة، وهذا ما يسعى إليه البعض، حيث يعتبر بعضُهم الإمام شخصيّة محترمة مرّت في تاريخ هذا البلد وكانت شخصيّة نشيطة نافعة في يوم من الأيام، وها هو قد فارق هذه الجماهير وارتحل

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 26 ربيع الثاني 1426 هـ.

عنها وانقضت أيامه! فما علينا والحال هذه إلا أن نحترم هذه الشخصيّة ونستذكرها بإجلال وإكبار ليس إلّا؛ حيث يُريد البعض أن يرى الإمام هكذا ويُعرّفه بهذه الطريقة ويشيع هذا الانطباع في شأنه؛ هذا خطأ!

إنّ الإمام هو تجسيد عيني للحركة العظيمة الّتي أطلقها الشعب الإيراني ونقل بها تاريخه من حال إلى حال. الإمام هو مؤسّس مدرسة فكريّة وسياسيّة واجتماعيّة. لقد آمن الشعب الإيرانيّ بهذه المدرسة وهذا الطريق وهذه الخارطة، وتحرك ضُمن مسارها؛ وإنّ مواصلة هذا الطريق رهنٌ بالتعرف الصحيح إلى هذه الخارطة، ولا يتسنّى معرفة خارطة الطريق هذه إلّا عبر معرفة الإمام، الّتي نقصد بها معرفة أصول الإمام بشكل صحيح.

لقد كان الإمام فقيهًا كبيرًا؛ كان فقيهًا بارزًا وكبيرًا وكذلك كان فيلسوفًا وصاحب رأي في العرفان النظريّ، وكان يُعدّ رائدًا في هذه المواضيع والمجالات الفنيّة والعلميّة. غير أنّ شخصيّة الإمام البارزة لا ترتبط بأي واحدة من هذه الأمور؛ وإنّما تجلّت شخصيّة الإمام الحقيقيّة في تحقّق آية ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[1] بمضمونها وتجسيدها، حيث خاض الإمام الخمينيّ العظيم، بما ملك من قدرات وإمكانيّات علميّة بارزة، ميدان الجهاد في سبيل الله واستمر في هذا الجهاد حتّى آخر عمره، وأطلق حركة عظيمة؛

(1) سورة الحج، الآية 78.

ليس في بلده وحسب، بل في كل أنحاء منطقتنا والعالم الإسلامي، وبمعنى من المعاني في أرجاء العالم كافة. وقد أسفرت هذه الحركة عن نتائج منقطعة النظير.

فعلى الشعب الإيراني أن يعرف نهج الإمام الكبير وأصوله ومبادئه بشكل صحيح، وأن يحول دون تحريف شخصيّة الإمام الّذي يعتبر تحريفًا لنهج الإمام وتحريفًا للصراط المستقيم الّذي يسلكه الشعب الإيرانيّ. فلو أضعنا نهج الإمام أو أودعناه في غياهب النسيان أو تعمّدنا - لا قدّر الله - إبعاده وإقصاءه، لتسبّب ذلك في أن يتلقى الشعب الإيراني صفعة كبيرة. فليعلم الجميع أن قوى الاستكبار العالمي الخبيثة الّتي لا تعرف الشبع لا تزال تنظر إلى بلدنا بعين الطمع. إنّ بلدًا كبيرًا ثريًّا يقع على تقاطع أهم الطرق العالميّة، هو بالنسبة إلى جبابرة العالم المخادعين بالغ الأهميّة. هؤلاء لم يكفّوا ولم يتخلّوا عن طمعهم وجشعهم، وهم لا يتراجعون إلا إذا بلغ الشعب الإيرانيّ مبلغًا من القوة والتقدّم المخيّب لآمالهم. وفي ضوء ذلك يتّخذ خطر «تحريف الإمام» طابعًا حسّاسًا وهامًّا، فلو تمّ تحريف شخصيّة الإمام والتعريف بها بصورة سيئة خاطئة، سيواجه الشعب الإيراني هذه الأخطار الكبيرة بأسرها. ومن هذا المنطلق لا بُدّ من أن يُنظر إلى خطر تحريف الإمام كتحذير يبلغ أسماع وأبصار جميع المسؤولين في البلد وأهل المنهج الفكري للثورة، وتلامذة الإمام القدامى، والمناصرين لهذا الخط والنهج، وعامة الشباب، والنخب، والجامعيين، وطلبة العلوم الدينيّة.

لقد بُذلت جهود في زمان حياة الإمام لتحريف شخصيّته؛ فالعدوّ، من جهة، كان يحاول منذ انتصار الثورة وفي وسائل إعلامه العالميّة أن يعرّف [يُقدّم] الإمام على هيئة شخصيّة ثوريّة متصلّبة عنيفة - على غرار ما نعرفه في تاريخ الثورات الكبيرة والمعروفة في العالم كالثورة الفرنسيّة أو الثورة الماركسيّة للاتّحاد السوفياتي وبعض الثورات الأخرى - وكإنسان صلب متشدّد يقطّب حاجبيه باستمرار ولا ينظر إلا إلى مواجهة الأعداء، ولا يتحلّى بأيّة عاطفة ومرونة.

هكذا كانوا يعرّفون الإمام. وهذا كلام باطل. أجل، فلقد كان **الإمام حاسمًا لا يتزلزل، وراسخًا في قراراته، إلّا أنّه كان مظهرًا للعاطفة واللطف والمحبة والمواساة والعشق لله ولخلق الله**، لا سيّما بالنسبة إلى الطبقات المظلومة والمستضعفة في المجتمع. وهذا عمل تصدّى له العدو منذ اليوم الأول من انتصار الثورة في وسائل الإعلام العالميّة.

وقد عمدَ بعضهم أيضًا في الداخل عن جهل وبعضهم الآخر عن عمد إلى تحريف الإمام حتى في فترة حياته، فكانوا ينسبون إلى الإمام كل ما يحلو لهم، رغم أنّه لا يمت إلى الإمام بصلة. وما زال نفس هذا التيار يُواصل طريقه، حتّى أنّ بعض الأقوال وبعض التصريحات كانت تُصوّر الإمام بصورة إنسان ليبرالي لا يتقيّد بأي قيد وشرط في سلوكه تجاه المسائل السياسيّة بل وحتّى الفكريّة والثقافيّة أيضًا، وهذه النظرة أيضًا شديدة الخطأ وتخالف حقيقة الأمر.

ولو أردنا إدراك شخصيّة الإمام حقًا، فلهذه العمليّة طريقها، ولو سلكنا هذا الطريق - الّذي سأشير إليه - لتم معالجة الأمر، وإلا فسينهض اليوم أناسٌ يُصوّرون الإمام وفق ميولهم ورغباتهم بطريقة معيّنة، ولربما يظهر غدًا أناسٌ يرون المصلحة بأن يصوّروا الإمام بطريقة أخرى وفق رغبات أخرى وأحداث أخرى، وهذا أمرٌ مرفوض. إنّ شعبيّة [محبوبيّة] الإمام في قلوب الناس حقيقة خالدة لم يتمكن العدوّ من القضاء عليها. ومن هنا تعتبر قضيّة تحريف شخصيّة الإمام المغروسة في قلوب الكثير من الناس - في داخل البلد وخارجه - خطرًا كبيرًا. **والطريق الّذي بإمكانه أن يحول دون هذا التحريف، هو إعادة قراءة أصول الإمام** [1].

إنّنا من وراء ترديد [حقائق إمامنا العظيم] ينبغي أن لا ننشد سوى هدف واحد، وهو استلهام العبر لا غير؛ وإلاّ فإنّ **تمجيد الإمام، وحده لا يكفي**، وربما يصبح مضرًّا في بعض الأحيان؛ وذلك أنّنا عندما ندرك أنّه قام بكل هذه الأعمال نتصور أنّه لم يبقَ ما علينا القيام به.

إنّنا نمجّد ذلك الإنسان العظيم ونتخذ منه قائدًا ورائدًا وقدوة من أجل أن نسير على دربه ونمضي في طريقه. لقد كانت **التقوى** شعارًا له، فلنجعل من تقوى الله شعارًا لنا في الحياة. إنّ أساس المسألة هو **التقوى**، **والتقوى** أن نراقب أنفسنا فلا نقدم على شيء فيه خلاف لإرادة الله سبحانه[2].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 4 حزيران 2015 م.

(2) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره خطبة يوم الجمعة، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

علينا المحافظة على ميراث الإمام. إنّه لم يكن من أهل الدراهم والدنانير، «لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا». لقد كانت سيرته كسيرة الأنبياء، لم يترك وراءه شيئًا من زخارف الدنيا، بل لم يجعل لها إلى نفسه سبيلًا، فظلّت روحه عملاقة عظيمة تسبح في الملكوت. إنّ ميراثه الحقيقيّ هو في الجمهوريّة الإسلاميّة وفي جيل الشباب الّذي صنعه بيديه ببركة الثورة. لذا ينبغي الحفاظ على هذا الميراث[1].

ويجب الاهتمام في تبيين رأي الإمام، من المحتمل طبعًا أن يوجد من لا يُوافق رأي الإمام في خطوطه الكليّة أو التفصيليّة الجزئيّة، غير أنّ رأي الإمام يجب أن لا يُحرّف. يجب عليكم أن تحرصوا على طرح رأي الإمام كما ورد في كلماته وكُتبِه وتوجيهاته وسلوكه، وهذه في رأيي مسؤوليّة تاريخيّة وأمانة في أعناقكم[2]، [لذلك]:

- ينبغي عرض مواقف الإمام وتبيينها بكل وضوح وجلاء كما قالها هو نفسه وكتبها. هذا هو ملاك خط الإمام ودربه وصراط الثورة المستقيم. أحيانًا يقول قائل بصراحة إنّني لا أوافق الإمام ولا أعترف به. هذا بحثٌ آخر. موقفُ أتْباع الإمام وأنصاره واضح من الشخص الّذي يقول بصراحة إنّني لا أوافق الإمام ولا أعترف بخطه ودربه. ولكن إذا كان المقرر أن تسير هذه الثورة على خط الإمام وبتأشير من يد الإمام نحو الاتجاه الصحيح فينبغي أن يكون خطّه واضحًا وطريقه جليًّا ويجب تبيين مواقفه بصورة صحيحة.

(1) المناسبة: البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 20 ذي القعدة 1409 هـ.

(2) المناسبة: إقامة مؤتمر الإمام الخمينيّ قدس سره ونظريّة الحكومة الإسلاميّة، الزمان: 19 شوال 1420 هـ.

- يجب عدم التنكر لبعض المواقف الحقيقيّة للإمام أو إخفائها لإرضاء هذا وذاك. بعضهم يُفكر بهذه الطريقة - وهذا تفكير خاطئ - وهي أنّه من أجل أن نكسب أتباعًا وأنصارًا أكثر للإمام ونجعل معارضيه ينجذبون ويميلون إليه فعلينا إمّا إخفاء بعض المواقف الصريحة للإمام أو أن لا نذكرها أو نُقلل من أهميتها. كلّا، هويّة الإمام وشخصيّته بهذه المواقف الّتي أعلنها هو بأكثر التعابير صراحة ووضوحًا وبأسطع وأجلى الألفاظ والكلمات. هذه المواقف هي الّتي هزّت العالم. هذه المواقف الصريحة هي الّتي شدّت القطاعات والكتل الجماهيريّة الهائلة للشعب الإيراني وجعلت الكثيرين يتّبعون الشعب الإيراني. هذه النهضة العالميّة العظيمة الّتي ترون اليوم علاماتها ومؤشراتها في مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ، انطلقت بهذه الطريقة. ينبغي عرض شخصيّة الإمام بصراحة وسط الساحة وينبغي عرض مواقفه ضد الاستكبار، والرجعيّة، والليبراليّة الديمقراطيّة الغربيّة، ومواقفه ضد المنافقين والمتذبذبين بكل صراحة. الّذين تأثروا بهذه الشخصيّة العظيمة شاهدوا هذه المواقف وسلّموا بها. لا يُمكن من أجل أن يرتاح زيد وعمرو للإمام ويرضوا عنه أن نتكتم على مواقف الإمام ونخفيها، أو نقلل من حدة الأشياء الّتي نرى أنّها شديدة وحادة.

بعضهم في فترة من الفترات - ونحن نتذكر تلك الفترة حيث كنا

شبابًا - ومن أجل أن يكسبوا أنصارًا للإسلام، كانوا يهوّنون من أهميّة بعض الأحكام الإسلاميّة ويتجاهلونها، حكم القصاص، حكم الجهاد، حكم الحجاب، كانوا يتنكرون لهذه الأحكام، ويقولون إنّها ليست من الإسلام، القصاص ليس من الإسلام، والجهاد ليس من الإسلام، حتّى يرضى عن الإسلام المستشرق الفلاني أو العدو الفلاني للمباني الإسلامية الأساسيّة. هذا خطأ، يجب عرض الإسلام بكليّته وجامعيّته.

الإمام من دون خط الإمام ليس ذلك الإمام الّذي اندفع الشعب الإيراني إلى الأمام بأنفاسه ونفسه وهدايته، فوضعوا أكفهم على الأرواح وقدموا أبناءهم إلى أشداق الموت، ولم يبخلوا بأرواحهم وأموالهم، وخلقوا أعظم أحداث الفترة المعاصرة في هذه المنطقة من العالم. الإمام من دون خط الإمام إمام بلا هويّة. وسلب الهويّة عن الإمام ليس خدمة للإمام. مباني الإمام مبانٍ واضحة. إذا لم يشأ أحد المجاملة والمحاباة، فإنّ هذه المباني موجودة في كلمات الإمام وخطبه ورسائله وخصوصًا في وصيّته، وهي خلاصة لجميع تلك المواقف. هذه المباني الفكريّة هي الّتي أطلقت تلك الموجة الهائلة العاتية ضد النهب الغربي والتفرد الأمريكيّ في العالم.

تتصورون أنّه حينما يُسافر رؤساء أمريكا إلى أي بلد من البلدان في آسيا والشرق الأوسط، وحتّى بعض البلدان الأوروبية، ويجتمع الناس هناك ويهتفون ضد هؤلاء الرؤساء، هل تتصورون أنّ الأمر

كان كذلك دائمًا؟ كلا، إنّما هو تحرُّك الإمام وفضحُه للظالمين ومواقفه الّتي فضحت الاستكبار والصهيونيّة وأحيت روح المقاومة لدى الشعوب وخصوصًا في المجتمعات الإسلاميّة.

إنّه لإعوجاج فكريّ أن نُنكر مواقف الإمام. وهو إعوجاج فكريّ يصدر للأسف عن بعض الّذين كانوا يومًا ما من مروّجي وناشري أفكار الإمام أو من أتباعه وأنصاره. والآن تنحرف السبل وتضيع الأهداف لأيّ سبب من الأسباب، ويعود بعضهم أدراجه بعد أن تحدّث وعمل سنوات طويلة للإمام ولهذه الأهداف، فنراه يقف بوجه هذه الأهداف والمباني، ويتحدث بكلام آخر[1]!.

اتخاذه قدوة في خياراتنا وأعمالنا

إنّ علينا أن نُصمم دائمًا، وحيثما كُنّا، أن ننطلق نحو الأهداف بتعاون تام ودون أن ننسى الإمام. إنّ ذكرى الإمام حيّة وواضحة وإن لم يكن بيننا الآن. يجب أن نعرف كيف كان يُفكر الإمام وكيف كان يتحرّك كي نرسم على ضوئه معالم المستقبل إن شاء الله[2].

فما هو المعيار في ثورتنا؟ هذا شيء على جانب كبير من الأهمية.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

(2) المناسبة: مراسم توديع أعضاء مجلس الوزراء، الزمان: 06 محرّم 1410 هـ.

منذ ثلاثين عامًا ونحن نسير في اتجاه هذه الثورة. لقد أبدى شعبنا بصيرة وشجاعة وجدارة بحق. أنتم الّذين تتقدمون بهذه الثورة إلى الأمام منذ ثلاثين عامًا. ولكن ثمّة أخطار. أعداء الثورة وأعداء الإمام لن يظلّوا مكتوفي الأيدي، بل يحاولون القضاء على هذه الثورة. كيف؟ بتحريف طريقها. لذلك كان من الضروري أن تكون لنا معاييرنا وموازيننا.

وأقولها لكم: إنّ أفضل المعايير هو الإمام نفسه وخط الإمام. الإمام أفضل معيار ومؤشر بالنسبة لنا. إذا جاز لنا هذا التشبيه رغم كل البون الشاسع بين الشبيه والمشبَّه به، لشبَّهنا الأمر بالكيان المقدس للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول القرآن الكريم ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾[1]. النبّي نفسه أسوة. سلوكه وأعماله وأخلاقه كلّها أسوة. ويقول تعالى في آية كريمة أخرى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾[2]. إبراهيم وأنصاره هم أيضًا أسوة لنا. وقد ذكر هنا حتّى أنصار وأصحاب النبيّ إبراهيم حتّى لا يقول قائل إنّ النبيّ معصوم أو إبراهيم كان معصومًا ولا نستطيع اتّباعه وأن نسير على خطاه، لا ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ... ﴾[3].

(1) سورة الأحزاب، الآية 21.

(2) سورة الممتحنة، الآية 4.

(3) سورة الممتحنة، الآية 4.

وهذا المعنى يصدق أيضًا على إمامنا الجليل تلميذ هذه المدرسة والسائر على درب هؤلاء الأنبياء العظام. الإمام نفسه أبرز المعايير والعلامات والمؤشرات. سلوك الإمام وأقواله. ولحسن الحظ فإنّ كلمات الإمام وخطبه متوفرة لدينا ومدوّنة، ووصيّته تُعلن بصراحة ووضوح عمّا في ضميره لمستقبل الثورة. يجب عدم السماح بأن تُعرض هذه المؤشرات بشكل مغلوط أو تُخفى أو تُنسى. إذا عرضنا هذه المعايير والمؤشرات بنحو سيئ ومغلوط فكأنّنا فقدنا بوصلتنا. لنفترض أنّ إنسانًا في رحلة بحريّة أو في صحراء لا طريق فيها، وتعطلت بوصلته عن العمل، سيبقى هذا الإنسان حائرًا بالطبع. إذا عُرضت آراء الإمام بشكل سيئ فكأنّنا فقدنا بوصلتنا أو تعطلت وأضعنا الطريق، وسوف يتحدث كل شخص كما يريد وكما يحلو له. وسوف يستغل المسيئون وأصحاب النوايا السيئة هذه الفرصة ويعترضون الطريق بحيث يلتبس الأمر على الشعب[1].

إنّ الإمام قال مرارًا إنّ إصدار الأحكام على الأشخاص وتقييمهم يجب أن يكون على أساس وضعهم الحالي الراهن، أي إنّ ماضي الأشخاص لا يؤخذ بنظر الاعتبار. الماضي يُفيد حينما لا يكون الحال معلومًا فيرجع الإنسان إلى الماضي ويتمسك به ويقول: هكذا كان الوضع في السابق ولا بُدّ أن يكون على نفس الشاكلة الآن أيضًا. وإذا كان حاضر الأشخاص على الضد من ماضيهم فلن يعود لذلك

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

الماضي أي فاعليّة أو تأثير. وهذا هو التقييم الّذي عمل وفقه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع طلحة والزبير. يجب أن تعلموا أن طلحة والزبير لم يكونا شخصين صغيرين. كان للزبير مواقف وسوابق متألقة قلّما يوجد لها نظير لدى أصحاب الإمام علي عليه السلام. بعد أن تولّى أبو بكر الخلافة، وفي الأيّام الأولى، قام أمام منبر أبي بكر عدة أشخاص من الصحابة وعارضوه وقالوا: الحقّ ليس معك! إنّما الحق مع علي بن أبي طالب. وأسماء هؤلاء الأشخاص مسجلة في التاريخ. وهذه ليست أشياء يرويها الشيعة، كلا، إنّما هي مذكورة في كافة كتب التاريخ. من هؤلاء الأشخاص الّذين وقفوا أمام منبر أبي بكر، ودافعوا عن حق الإمام أمير المؤمنين الزبير. هذه هي سابقة الزبير. وبين ذلك اليوم واليوم الّذي شهر فيه الزبير سيفه في وجه أمير المؤمنين مدّة خمس وعشرين سنة. ولكن ما الّذي فعله الإمام أمير المؤمنين لهما؟ الحرب. زحف الإمام أمير المؤمنين بالجيش من المدينة وسار نحو الكوفة والبصرة لحرب طلحة والزبير. أي إنّ تلك السوابق مُحيت وانتهت. هذا كان ملاك الإمام ومعياره.

بعضهم كان مع الإمام في باريس وجاء معه في الطائرة إلى إيران، لكن أُعدم في زمن الإمام بسبب الخيانة! وبعضهم كانت له علاقاته معه منذ فترة النجف، ثم باريس، وكان موضع عناية الإمام منذ بداية الثورة، لكن سلوكه ومواقفه بعد ذلك أدّت إلى أن يطرده الإمام ويبعده عن نفسه. المعيار هو الوضع الّذي يكون لي حاليًّا.

إذا أدّت النفس الأمّارة بالسوء والشيطان إلى حرف الطريق أمامي لا سمح الله، فسوف يختلف الحكم والتقييم. هذا هو مبنى النظام الإسلاميّ وهذا ما عمل به الإمام الخمينيّ[1].

إحياء اسم وذِكر ونهج الإمام الخميني قدس سره

إنّ الشعب الإيراني أو الشعوب الأُخرى كُلّما سعت في إحياء اسم الإمام وإبراز ذكراه كلّما جنت مزيدًا من الثمار من نهجه. لكن أعداء الإسلام والمسلمين يستهدفون طمس اسم الإمام قدس سره ومحوه، أو التقليل من شأنه، فتراهم يوحون بأنّ هذه الحادثة الّتي وقعت، مرّت وانتهت، لئلا يكون لها أثر في مستقبل العالم. وأنتم تلاحظون أنّهم ينتهجون شتّى السبل والأساليب لتحقيق مآربهم هذه ومن جملة ذلك الإعلام المسموم، وتحريف الحقائق، وبثّ الأكاذيب. وهذه الأنماط سارية في أي موضع يقع تحت هيمنة القوى الاستكباريّة.

وفي مقابل ذلك ثمّة مهام يجب على المسلمين النهوض بها؛ يجب عليهم رفع اسم الإمام وإحياء ذكراه وتنوير الأفكار والأذهان بالمنهج الصريح الّذي اختطه، وبيان الهدف الّذي يرمي إليه، ويوضحوا أنّ أحكام الإسلام وروح الاعتزاز الإسلامي هما النقطتان الجوهرّيتان اللتان كان الإمام يستهدفهما.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

وهكذا الحال في بلدنا أيضًا؛ فإن كان شعبنا يطمح إلى استكمال طريق العزّة هذا، فعليه السعي المتزايد يومًا بعد آخر لإحياء اسم الإمام وذكراه. وإذا كان الشعب يتطلّع ببركة سواعده المقتدرة وإبداعه وخلاّقيّته إلى بناء إيران بشكل تغبطها عليه الشعوب والدول، فعليه الالتفات إلى تعليمات الإمام أكثر فأكثر[1].

ينبغي إحياء ذكراه ومعرفة قدر طريق الإمام وخطه ومحل إشارة أصابعه والعلامات التي وضعها للسير في الطريق[2].

العمل بوصاياه

ليس من الصحيح أن يُقال: إنّنا نشكّ في آراء الإمام. وقد لا يستخدمون عبارة نشكّ، لكنّهم يطلقون كلامًا معناه الشكّ. إنّ وصيّة الإمام ومجموعة كلمات الإمام قدس سره هي مبادئ وأصول ثورتنا. كان الإمام رجلًا كبيرًا وواعيًا. خذوا هذه الأمور بعين الاعتبار دومًا، ولتكن القوانين والمواقف والمسيرة على هذا الأساس. قد يفهم الإنسان المسألة بشكل، ويفهمها شخصٌ آخر بشكل مختلف؛ لا إشكال في ذلك؛ ولكن ينبغي أن يكون هذا هو الهدف والمحور[3]. أقول للشباب خاصة: إقرأوا وصيّة الإمام. الإمام الّذي

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السابعة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 18 محرم 1417 هـ.
(2) المناسبة: الذكرى السنويّة التاسعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 28 جمادي الأولى 1429 هـ.
(3) المناسبة: لقاء نواب مجلس الشورى الإيراني، الزمان: 24 حزيران 2009 م.

هزّ العالم هو الإمام المتجلّي والظاهر في هذه الوصية وفي هذه الآثار والأقوال[1]. فيتحتّم على الشباب والمسؤولين قبل غيرهم أن ينظروا لتوجيهات الإمام ووصيّته كدساتير وبرامج عمل. وعلى السلطات الثلاث ومسؤولي البلاد - العسكريين وغير العسكريين والسياسيين والاجتماعيين والخدميين - أن يجعلوا وصيّة الإمام وإرشاداته برنامج عملهم، فعزّة الشعب الإيرانيّ وأمنه الدائم، وتطوره وتنميته الماديّة، ورفعته المعنويّة والأخلاقيّة رهن بالعمل بهذه التوصيات[2].

ترك الإمام بكلامه وسلوكه هداية مستمرة لأمّته، أي لنا نحن الناس. يدُ الإمام وأصابع تأشيره ترشدنا في كافة منعطفات الحياة؛ ومن أقوى وأفضل مواريث الإمام هي وصيّته الّتي من المناسب للجماهير والمسؤولين والشباب إعادة قراءتها والتدبر فيها من حين لآخر. وفيها:

النقطة الأولى:

أن الإمام يؤكد في وصيّته أنّ هذه الثورة ثورة إلهيّة والجماهير ركنُها الأساسي. أيّ إنّ الثورة ملك الجماهير.

معنى هذا الكلام أنّه ليس بوسع أحد - شريحة، أو فردًا، أو طبقة - ادعاء ملكيّة الثورة، ويجب أن لا يدّعي مثل هذا

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة التاسعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 28 جمادي الأولى 1429 هـ.

الادعاء ويعتبر نفسه مالكًا لها وبقيّة الناس مستأجرون فيها. لو قدّر لأحد أن يعتبر نفسه مالكًا وصاحبًا للثورة لكان الإمام نفسه أنسب الجميع وأجدرهم، حيث تكوّنت الثورة حول محور عزيمته وإرادته وشخصيّته. لكنه كان يرى نفسه لا شيئ ويرى الله مصدر كل شيء. هذه قضيّة تطفح بها كلمات الإمام وقد أكّدها وصرّح بها في وصيّته.

النقطة الثانية:

هي إعلان الإمام في وصيته أن هذه الثورة سوف تتسع وتنتشر، وسوف تقصّر أيدي المستعمرين عن العالم الإسلاميّ.

هذه هي نبوءة الإمام الجليل. وحين ننظر اليوم للساحة نرى أن هذا الأمر قد حصل فعلًا. ليس انتشار الثورة من وجهة نظر الإمام عن طريق اختلاق الفتن في البلدان، وزحف الجيوش، ونشر الإرهاب - خلافًا لثورات أخرى - إنّما يتم نشرها بين الشعوب عن طريق صناعة نموذج الجمهوريّة الإسلاميّة، بمعنى أن يرتفع الشعب الإيراني بنظام الجمهوريّة الإسلاميّة إلى مرتبة حين تنظر لها الشعوب الأخرى تتشوق إليها وتسير في هذا الطريق؛ عن طريق إشاعة المعارف الإسلاميّة والصراحة في الدفاع عن الطبقات المظلومة في العالم الإسلاميّ والّتي سُحقت تحت أقدام الجور الاستكباري. هذا هو انتشار النظام الإسلاميّ الّذي حصل.

النقطة الثالثة:

وهي النقطة البارزة في وصية الإمام والموزّعة في كلماته التي ألقاها طوال هذه السنوات العشر من حياته المباركة والمهمة بالنسبة لشعبنا وشبابنا وهي أن الثورة الإسلاميّة عامل يُساعد على تقدم الشعب وإبداعه وتجديده. وهذا على الضد تمامًا مما أشاعه أعداء الإسلام على مدى سنوات طويلة.

يُؤكّد إمامنا الكبير منذ بداية الثورة، إلى آخر يوم، وفي وصيّته، أن الروح الثوريّة هي روح التقدّم إلى الأمام والتطور والابتكار والتجديد وهذا ما تحقق في واقع الشعب الإيرانيّ.

لقد رسم الإمام بالثورة الإسلاميّة وتأسيس الجمهوريّة الإسلاميّة الطريق الوسط بين التخلّف والتغريب. تصوّرت الشعوب أنّ عليها إمّا أن تبقى متخلّفة أو تغدو متغرّبة. وأثبت الإمام عدم صوابيّة ذلك؛ ثَمّة طريق وصراط مستقيم لا يكون الإنسان فيه أسيرًا للغرب لكنّه يقطع أشواط الرقي والتقدم والسمو.

النقطة الرابعة:

في وصية الإمام وهي مهمة جدًّا التنبه إلى الحرب الباردة والهجمات النفسيّة الّتي يشنها الأعداء. حينما يعجز العدو عن فعل شيء في ساحة العمل يُبادر لشن حرب نفسيّة

هدفها بث اليأس والقنوط في قلوب الشعوب وتفتيت رباطة جأشها. يُحاولون عن طريق الحرب النفسيّة والتهديدات أن يفرضوا التراجع والهزيمة على الشعوب الّتي تواجههم. معنى هذا أنّهم افتقروا للقدرة على مجابهة هذا الشعب في ميادين العمل. استمرت الحرب النفسيّة منذ الأيّام الأولى للثورة وإلى اليوم حيث مضت ثلاثون سنة. أحيانًا كانوا يقولون إن هذه الثورة لن تستمر لأكثر من شهرين، وأحيانًا يقولون إنّها لن تستمر لأكثر من سنتين. وقد تقدمت الثورة إلى الأمام طوال ثلاثين عامًا إلى اليوم بكل قوّة واقتدار وجعلت الشعب الإيرانيّ أكثر انسجامًا وأملًا وطاقة يومًا بعد يوم.

النقطة الخامسة:

في وصية الإمام الكبير تحذير الشباب من المؤامرات التي لا تستهدف سواهم.

النقطة السادسة:

هي قضية مواجهة المتغطرسين في العالم. حسنًا، ما الّذي ينبغي فعله إزاء هذا التجبّر؟

وصيّة الإمام هي الصمود. وإحدى أبرز النقاط في خط الإمام والّتي انعكست في وصيته وفي جميع خطبه ضرورة الوقوف الحاسم مقابل الطامعين والمستكبرين.

على الشعب الإيرانيّ وجميع الفئات والنخب الملتزمة

والوفيّة للإمام وآرائه وأفكاره أن تحافظ على هذا الموقف بكل قوة. هكذا كان الإمام نفسه. لم يتخلّ أبدًا عن الدفاع عن مظلومي العالم مصانعةً لمتجبري الدنيا. ذَكر قضيّة فلسطين دائمًا باعتبارها قضيّة مركزيّة واهتم صراحة في وصيّته وكلماته بنداء «يا للمسلمين» الّذي تطلقه الشعوب المضطهدة؛ الدفاع الصريح عن حقوق المظلومين وعن حقوق الشعب الفلسطينيّ وأي شعب مظلوم آخر. هذا هو منهج الإمام وخطه وأسلوبه ووصيّته[1].

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة التاسعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 28 جمادي الأولى 1429 هـ.

لقد قيل فيه الكثير، وفي رأيي
لا يزال الوقت مبكرًا لكي يُمكن
للمحللين في العالم أن يُدركوا
أبعاد شخصيّة عظيمة تحتل
مكانها بعد الأنبياء والأولياء،
شخصيّة فريدة يندر ظهورها
في التاريخ، إنّهم يقومون
بالعظيم من الأمور ويضيئون
الفضاء كالبرق ثم يرحلون.

القائد دام ظله يرثي الإمام قدس سره

لقد غربت في ذلك اليوم[1] شمس تفجَّر بإشراقها ألف ينبوع للنور في حياة الشعب الإيرانيّ. وعرجت روحٌ كانت قد بعثت بنفسها المستمدّة من روح اللّه الحياة في جسد هذا الشعب. وخمدت حنجرة كانت قد محت الملل والبرود من ضمير العالم الإسلاميّ، وأطبقت شفتان كانتا تتلوان آيات العزّة والكرامة الإلهيّة على المسلمين، وأبطلتا آثار سحر اليأس والذلّة في أرواحهم[2].

لقد عاد ذلك اليوم يوم العزاء الكبير للعالم الإسلاميّ ولم يقتصر ألمه وحرقته على الشعب الإيرانيّ فحسب، بل عمّ المصاب كلّ العالم، وشمل كلّ قلب واعٍ وروح يقظة. وأينما وُجِد مسلم واعٍ للثورة وقضاياها فإنّه راح يعتبر نفسه من ذوي العزاء، وحينئذٍ لم يبقَ مكان على الأرض لا تمتلئ القلوب فيه بالألم والمرارة نتيجة هذا الحادث الجلل[3].

تُمثّل الحادثة الأليمة لرحيل إمامنا الكبير تجديدًا لذكرى بالغة المرارة على الشعب الإيرانيّ وسائر مسلمي العالم، وهي عبارة عن مشهد يُجسّد فيه الشعب الإيراني مشاعره تجاه قائده الكبير

---

(1) يوم رحيل الإمام الخمينيّ 4 حزيران 1989م.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 6 ذي القعدة 1410 هـ.

(3) المناسبة: الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 6 ذي القعدة 1410 هـ.

الراحل. وتزداد هذه المراسيم - كما يُستشف ويتراءى للعيان - حماسًا وأُبهة ومغزىً في كل سنة عمّا سبقها، وهذا إنّما يدلّ على أنّ الشعب الإيراني لم ينثنِ عن خط الإمام وخط الثورة، وإنّ الإمام قد انتصر رُغم أنف أعدائه وأعداء الثورة[1].

إنّ هذه الحادثة الأليمة [رحيل الإمام الخمينيّ قدس سره] لم تُطوَ في مدارج النسيان، وإنّ اسم الإمام وذكراه تتجدد في القلوب يومًا بعد آخر وبطابع أكثر رونقًا وبهاءً، وإنّ سائر الشعوب الإسلاميّة - فضلًا عن الشعب الإيرانيّ - بل وجميع أحرار العالم لم ولن ينسوا ذكرى هذه الشخصيّة الفذّة[2].

لقد كان ملاذنا في كل المصائب، فقد كان يزن ذلك ويقدّر في بيانه لنا ويُسلّينا في استشهاد المطهري، رحيل الطالقاني، استشهاد شهداء المحراب، في فاجعة السابع من تير، الثامن من شهريور، وقبلها في مذبحة الخامس عشر من خرداد والسابع عشر من شهريور وسائر المصائب، ولكن أين هو ذلك الميزان العظيم ليزن عظم هذه المصيبة؟ وأين هو ذلك الملاذ الّذي كان يمنحنا بوجوده الطمأنينة والسكينة؟ إلاّ أن نلجأ إلى بقية الله (أرواحنا فداه) فنعزّيه ونسلو بوجوده.

لقد غاب الإمام العزيز من بين أعيننا، ورحل شخصه من بيننا، إلا أنَّ حقيقة الإمام وفكره وروحه ودروسه ومدرسته، لم تزل باقية في أوساطنا، وأوساط الأمة الإسلامية.

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة السابعة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 16 محرم 1417 هـ.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 28 محرم 1418 هـ.

لقد انتشرت أغصان وأوراق هذه الشجرة الطيّبة الّتي جاء ذكرها في الآية الشريفة ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1] في جميع أجواء الأمّة الإسلامية، وأخذت بالتجذّر والقوة يومًا بعد آخر.

هذه الكلمة الطيّبة والشجرة الطيّبة «الجمهورية الإسلامية» هي الّتي أنتجت الصحوة الإسلاميّة في العالم الإسلامي، والمجد والجلال والتقدّم في بلدنا، وبين أفراد شعبنا[2].

في حياة الإمام المباركة عندما كان وجود هذا الرجل العظيم وإرشاداته تسطع علينا كالشمس الّتي تعم الأرجاء وتمنح النور والدفء لكل الأشياء، لم يكن بوسع أحد أن يتصور استمرار هذا النظام ودوامه بدون هذه الشمس المتألقة. لقد كان عسيرًا على الأصدقاء أن يُصدّقوا ذلك، أمّا الأعداء فقد علّقُوا آمالهم على مثل ذلك اليوم، ولكنّ اللّه سبحانه وتعالى لم يجعل نعمته على هذا الرجل العظيم وقفًا على حياته فحسب، بل شاء لها أن تغمره حتى بعد وفاته وأن يفيض عليه البرّ الإلهيُّ، وأن يبقى ذلك النبع الثريّ متدفقًا، وهو الّذي أجراه بإيمانه الكبير وتوكله وإخلاصه، وبات أكيدًا وثابتًا أنّ القاعدة الّتي أرساها الإمام في هذه البلاد سوف

(1) سورة إبراهيم، الآيتان 24 – 25.

(2) المناسبة: الذكرى السنويّة الثامنة عشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 18 جمادي الأولى 1428 هـ.

تظل راسخة على الدوام وأنّها أسمى من الارتباط بالأشخاص. إنّ الأشخاص يذهبون، أمّا الانسياب الغزير لنهضة الشعب الإيراني المسلم وإمامه العظيم سوف يظل باقيًا[1].

غادر الأب الرحيم والمعلّم المخلص وحادي القافلة أبناءه ومريديه، فالأمّة الإسلاميّة اليوم قد غدت وكأنّها بلا روح، فهي اليوم في مأتم تنوح وتردد نشيد الحزن من أجل فقيدها الراحل.

إنّ استيعاب هذه الحقيقة المرّة لأمرٌ شاق جداً، وكان من الصعب جدًّا طوال السنين الماضية تصور دنيانا الفانية والحزينة وقد أقفرت من وجود إمامنا وقائدنا ومعلّمنا ومرشدنا ووالدنا وأملنا.

لقد تعلّمنا من ذلك المعلّم الكبير والأب الرحيم كيف نتحمّل المصائب مهما عظمت، ولقد تحمّل المؤمنون من قبل مصيبة رحيل نبيّ الإسلام ﷺ واستشهاد علي بن أبي طالب عليه السلام ومصائب أخرى، وجعلوا من كل ذلك سلّمًا لرقيّهم في معارج السموّ من أجل تحقيق الأهداف العليا.

ونحن أيضًا يا إمامنا العظيم، أيّها الخمينيّ الحبيب! نستمد العون من ربّك، ونجعل من دروسك في الحياة درسًا لنا، لعلنا نجعل من هذه المصيبة معراجًا لتحقيق الأهداف التي جاهدت في سبيلها[2].

---

(1) المناسبة: الذكرى السنويّة التاسعة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 9 صفر 1419 هـ.

(2) المناسبة: ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الهواجس الثقافيّة عند الإمام الخامنئي دام ظله، دار المعارف الحكميّة، بيروت، 2014م.
- سلسلة أقراص العبد الصالح (7)، خواطر يرويها القائد عن الامام - صادر عن مركز المعارف الرقميّة.
- خطاب الإمام الخامنئي دام ظله في المناسبات التالية:

1. البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 04 ذي القعدة 1409 هـ.
2. البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 20 ذي القعدة 1409 هـ.
3. البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 21 ذي القعدة 1409 هـ.
4. البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 02 ذي الحجة 1409 هـ.
5. ذكرى مرور أربعين يومًا على رحيل الإمام قدس سره، الزمان: 10 ذي الحجة 1409 هـ.
6. البيعة مع قائد الثورة الإسلاميّة، الزمان: 15 ذي الحجة 1409 هـ.
7. مراسم توديع أعضاء مجلس الوزراء، الزمان: 06 محرّم 1410 هـ.
8. الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 6 ذي القعدة 1410 هـ.
9. الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 10 ذي القعدة 1410 هـ.

10. الذكرى السنويّة الثانية لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 21 ذي القعدة 1411 هـ.
11. الذكرى السنويّة الخامسة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 24 ذي الحجة 1414 هـ.
12. لقاء مسؤولو الجيش وحرس الثورة،
الزمان: 01 جمادى الأولى 1416 هـ.
13. الذكرى السنويّة السابعة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 16 محرم 1417 هـ.
14. الذكرى السنويّة السابعة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 18 محرم 1417 هـ.
15. اليوم الثاني من عشرة الفجر المباركة، الزمان: 17 شوال 1417 هـ.
16. الذكرى السنويّة الثامنة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 28 محرم 1418 هـ.
17. أسبوع التعبئة، الزمان: 25 رجب 1418 هـ.
18. الذكرى السنويّة التاسعة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 9 صفر 1419 هـ.
19. اليوم الثاني من عشرة الفجر المباركة، الزمان: 17 شوال 1419 هـ.
20. ذكرى مبايعة عناصر من القوّة الجويّة للامام الراحل قدس سره،
الزمان: 22 شوال 1419 هـ
21. ولادة الإمام الحسين عليه السلام، ويوم حرس الثورة الإسلاميّة، وأسبوع التعبئة، الزمان: 3 شعبان 1419 هـ.
22. الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل الإمام قدس سره، الزمان: 19 صفر 1420 هـ.
23. إقامة مؤتمر الإمام الخمينيّ قدس سره ونظريّة الحكومة الإسلاميّة،
الزمان: 19 شوال 1420 هـ.
24. الذكرى السنويّة الثانية عشرة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 11 ربيع الأوّل 1422 هـ.

25. الذكرى السنويّة الثالثة عشرة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 22 ربيع الأوّل 1423 هـ.
26. الذكرى السنويّة الرابعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 3 ربيع الثاني 1424 هـ.
27. الذكرى السنويّة الخامسة عشرة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 15 ربيع الثاني 1425 هـ.
28. الذكرى السنويّة السادسة عشرة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 22 ربيع الثاني 1426 هـ.
29. الذكرى السنويّة السادسة عشرة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 26 ربيع الثاني 1426 هـ.
30. الذكرى السنويّة السابعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 7 جمادي الأولى 1427 هـ.
31. الذكرى السنويّة الثامنة عشرة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 18 جمادي الأولى 1428 هـ.
32. الذكرى السنويّة التاسعة عشرة لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 28 جمادي الأولى 1429 هـ.
33. الذكرى السنويّة العشرون لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 4 حزيران 2009 م.
34. لقاء نواب مجلس الشورى الإيراني، الزمان: 24 حزيران 2009 م.
35. الذكرى السنويّة الحادية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 21 جمادى الثانية 1431 هـ.
36. الذكرى السنويّة الثانية والعشرون لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 1 رجب 1432 هـ.

37. الذكرى السنويّة الثالثة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 3 حزيران 2012 م.
38. الذكرى السنويّة الرابعة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 24 رجب 1434 هـ.
39. الذكرى السنويّة الخامسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 4 حزيران 2014 م.
40. الذكرى السنويّة السادسة والعشرون لرحيل الإمام قدس سره،
الزمان: 4 حزيران 2015 م.
41. لقاء أعضاء المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام واتحاد الإذاعات والقنوات المرئيّة الإسلاميّة، الزمان: 17 آب 2015م.
42. لقاء في الملتقى الوطني التاسع لـ «نُخب الغد»،
الزمان: 14 تشرين أول 2015.
43. لقاء قوّات التعبئة على أعتاب يوم التعبئة،
الزمان: 25 تشرين ثاني 2015 م.

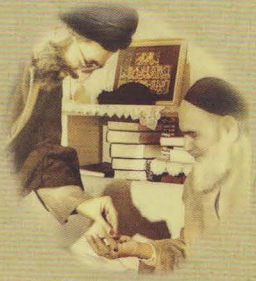

وديعةُ الله

إنّ شخصيّة قائدنا وإمامنا الكبير تحتلّ موقعها والحق يُقال بعد أنبياء الله وأوليائه والمعصومين. ولا يُمكن مقارنتها مع أيٍّ من الشخصيّات الأخرى. لقد كان وديعة إلهيّة في أيدينا، وكان حجّة علينا، وآيته لنا، حتّى أنّ المرء عندما يراه يعرف عظمة أولئك الأولياء.

إنّ هذه الشخصيّة الشموليّة لا مثيل لها بين علمائنا الكبار، ولا بين حكام هذا البلد، ولا بين المصلحين ودُعاة التجديد فيها.

إنّنا حينما ننظر إلى أنفسنا، نجد أنّ المسافة بيننا وبين الأنبياء وأولياء الله وعباده العظام عميقة وبعيدة المنال، إلا أنّ الإمام العظيم أرانا - في فترة غياب الأنبياء وانقطاع الوحي - من خلال تواجده وفكره وسلوكه نموذجًا حيًّا للولاية الروحيّة.

الامام الخامنئي دام ظله

سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامی

مركز الرضوان للتأليف والنشر